

الفصل الخامس :

مع

سورة طه

obeikandi.com

مع سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طه ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾
تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ
جَهَرَ بِالْقَوْلِ فَاِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾ (١).

الأول : (تشبیت الرسول ﷺ والتخفيف من معاناته) :

تبدأ السورة بحرفين : " الطاء والهاء ؛ للتنبية إلى أن هذه السورة كهذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف (٢) " ، وقيل : هو اسم النبي ﷺ سماه الله تعالى به كما سماه محمداً وروى عن النبي ﷺ أنه قال : " لي عند ربي عشرة أسماء " فذكر أن فيها طه ويس . وقيل هو أسم للسورة ومفتاح لها (٣) ، والنص يحتمل هذا وذاك ؛ فالآية التالية تخاطب النبي محمداً ﷺ : " ما أنزلنا عليك القرآن لتتعذب بفرط تأسفك على كفار قريش " (٤) " لكن تذكيراً لمن يخشى ؛ أي لمن شأنه أن يخشى الله تعالى ويتأثر بالإنذار لرقعة قلبه ولين عريكته " (٥) ، و " هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل شيء ومليكه

(١) سورة طه : الآيات ١ : ٨ .

(٢) في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص ٢٣٢٧ .

(٣) تفسير القرطبي ج ١١ ، ص ١٦٦ .

(٤) تفسير البيضاوي ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج ١٦ ، ص ١٥٠ .

القادر على ما يشاء ، الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها وخلق السماوات العلي بارتفاعها ولطافتها " (١) .

ثم يعرف القرآن بعض صفات الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ ، ويأتي بصفة الرحمن ليتناسب المراد في رفع الشقاء عن رسوله ﷺ ، وتجلي الرحمة عليه ؛ فهو سبحانه الرحمن المهيمن المستوى على العرش استواء معلوماً ، وكيفاً مجهولاً لتصورات البشر ، كما يروى هذا المعنى عن الإمام مالك - رحمة الله - (٢) .

ولله ما في السماوات وما في الأرض ؛ فهو مالكها والمتصرف فيها ، ويعلم ويملك ما بينها من الفضاء وما تحت الثرى من تراب أو كل شيء فيه رطوبة ، فلا شيء يخرج عن ملكه ولا يستر عن علمه وقدرته .

وكذلك فإن الله مطلع على نفس النبي ﷺ ، ويعلم خلمات قلبه وذكره :

﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ ... ﴾ (٣) .

أي : تعلن به فإنه يعلم السر وأخفي . قال الحسن : السر ما أسره الرجل إلى غيره وأخفي من ذلك ما أسره من نفسه " (٤) .

فهو سبحانه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٥) .

يعرّف نبيه ﷺ بصفاته سبحانه كما عرفها موسى - عليه السلام - فهو رب كل شيء ولا إله سواه ، له الصفات والأسماء الحسنى بدأها بهذه السورة بالرحمن ، فهو سبحانه يرسل إلى فرعون مدع الألوهية رسلاً يقول لهم :

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .
 (٢) قال : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة " ، الزرقاني ، محمد عبد العظيم مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .
 (٣) سورة طه : الآية ٧ .
 (٤) معالم التنزيل ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .
 (٥) سورة طه : الآية ٧ .

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَىٰ﴾ (١).

وهو القادر سبحانه أن يأخذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً؛ من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر" (٢).

المضامين التربوية في هذا المقطع من السورة:

١. النداء في مطلع السورة باسم من أسماء نبيه - على هذا التفسير - يفيد التحبب ورفع المعنويات لأداء الرسالة.
٢. عدم التشديد على النفس وتحميلها فوق طاقتها؛ فالمشقة والشقاء مقصد مرفوض في الشريعة، وكان الله سبحانه قد حذر آدم من قبل من الوقوع في الشقاء في قوله:

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ (٣).

٣. التذكير بالقيم يفيد من عنده أرضية صالحة للتفهم والخشية لله فيسارع عند الذكرى لتصحيح السلوك.
٤. القدرة لله تعالى والملكية المطلقة والعلم المحيط بكل شيء، يعطي الانطباع للإنسان في تلقي المنهج الإلهي باطمئنان وراحة نفسية، لاستحالة الخطأ في التوجيه.

(١) سورة طه: الآية ٤٤ .
 (٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٦٣ .
 (٣) سورة طه: الآية ١١٧ .

٥. مراقبة الله للإنسان في السر والعلن ، تجعل الإنسان والمجتمعات تنصاع إلى كل عمل خير وتنقطع عن أعمال الشر، طالما أن صفحاتها مكشوفة عند الله.

٦. " في تمهيد نبوته ﷺ بقصة موسى ليأتم به في تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد . فإن هذه السورة من أوائل ما نزل "(١).

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٦﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿٧﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴿٨﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿٩﴾ وَأَنَا أَحْزَنُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٠﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١١﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٢﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢).

الثاني : (قصة موسى ﷺ) :

الباب الأول : موسى النبي .

أ) المبحث الأول : تكليف موسى بالرسالة :

تسرد هذه الآيات الحديث عن موسى ﷺ كيف ومتى حمل أعباء الرسالة الإلهية وتبدأ الآيات " باستفهام وإثبات وإيجاب معناه : أليس قد أتاك " ﴿٣﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٦﴾ ﴿٤﴾ . لم يكن أتاه حديث بعد ثم أخبره ﴿٥﴾ .

(١) تفسير البيضاوي ، ج ٤ ، ص ٤٢ .

(٢) سورة طه : الآيات ٩ : ١٦ .

(٣) تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ١٧١ .

(٤) سورة طه : الآية ٩ .

(٥) قال الكلبي ، تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ١٧١ .

و " من هنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى ، وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه ، وذلك بعدما قضى موسى الأجل الذي كان بينه هوبين صهره في رعاية الغنم" (١) .

ويبدو أن موسى حنّ لأرض الوطن ورغب في زيارة أمه وأخته فاتجه نحو الطور يريد مصر " إنها جاذبية الوطن والأهل تتخذة القدرة ستاراً لما تهيؤه لموسى من أدوار" (٢) . وفي ظلمة إحدى الليالي رأى ناراً من بعيد ، فأمر أهله بالمكوث ليذهب ويأتي بقبس (٣) . من النار للدفء أو يجد أحداً عندها يدلّه على الطريق أو أقرب طريق وكانت المفاجأة حيث سمع صوتاً يناديه من غير أن يرى صاحب الصوت :

﴿ يَمْوِسَىٰ ﴿١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿٢﴾ ﴾ (٤)

والخطاب هنا فيه تعريف وتكليف وتطمين ، والآية تفيد أن موسى قد ضل الطريق فجاءه التطمين : ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (٥) ، والوصف للمكان بالقدسية يعطي انطباعاً جديداً لوجوب اتخاذ موقف مناسب فيه ، فكان الأمر بخلع النعلين ، ليدع لموسى المجال في الاستجابة والامتثال لأمر الرب سبحانه دون أن يغرق في متاهة التخيل للشكل المطلوب ، كما أن الاستجابة للأمر في خلع النعلين ينزع من النفس دهشتها لو هلة المفاجأة ، فلا يقف الشخص واجماً خائفاً منقبضاً بلا حراك .

بعد هذا التحرر من عقدة الخوف ، يأتي التكليف الجليل بحمل الرسالة :

﴿ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١﴾ ﴾ (٦)

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

(٢) في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٣٣٠ .

(٣) القبس : " الشعلة من النار " ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٤ ، ص ٤ .

(٤) سورة طه : من الآيات ١١ : ١٢ .

(٥) سورة طه : من الآية ١٢ .

(٦) سورة طه : الآية ١٣ .

فالموضوع إذن جاء انتقائياً ، وممن ؟ من الله العلي العظيم ؛ فالله يختار وموسى هو المختار من بين العباد كلهم ، فأى تكريم بعد هذا التكريم ؟ .

ويشد الخطاب موسى فلا ينبس ببنت شفة ^(١) ، ويستمع للوحي كما أمر الله

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ^(٢)

وكلمة التوحيد تلقي بظلالها على موسى لتؤكد له زيف ادعاء فرعون بالربوبية، وأن يوماً للحساب لا بد أن يأتي ليجازي كل امرئ بما كسبت يده فاحذر أن يؤثر فيك إعراضهم عن يوم القيامة فيصيبك الهلاك .

بعض المضامين التربوية في مقطع السورة :

١ . التعليم والتكريم للنبي محمد ﷺ بالأسلوب القصصي ؛ وذلك بقوله تعالى :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ ^(٣) .

٢ . المحافظة والرعاية للأسرة والزوجة والبحث عن أسباب الراحة لها .

﴿ ... فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ... ﴾ ^(٤) .

٣ . المشاركة في أعباء الحياة بين الرجل والمرأة ، والصبر على تحمل المصاعب والمتاعب

حيث كان موسى يبحث عن الطريق بعد أن ضل عنها ومعه أهله ﴿ ... أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ ^(٥) .

٤ . مخاطبة المكلف بأسمه دون وضع حواجز الألقاب أدعى للاستجابة وأحب إليه

مما لونداده يا عبدي .. أو يا هذا .. كما أن المناداة بالاسم تزيل الوحشة في مثل ذلك الموقف الرهيب وتدعو للتحبب. ﴿ .. يَمُوسَى ﴾ ^(٦) ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ .. ﴾ ^(٦) .

(١) أي لم يتكلم بكلمة ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج ، ١ ، ص ٤٠٧ .

(٢) سورة طه : الآية ١٤ .

(٣) سورة طه : الآية ٩ .

(٤) سورة طه : من الآية ١٠ .

(٥) سورة طه : من الآية ١٠ .

(٦) سورة طه : من الآية ١١ : ١٢ .

٥. التعريف بقدسية المكان التعليمي ، يقوي في النفس قدسية العلم نفسه
 ﴿ ... إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾^(١) . كما أن الالتزام بنظام معين وربما
 زي معين ، هو أيضاً من مظاهر الانضباط التعليمي في صروحه المقامة
 ﴿ ... فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ ... ﴾^(٢) . وتطبيق هذا النظام أو ذاك يعكس قابلية المتعلم
 للتلقي أو الرفض ، وبالتالي الاستفادة أو مجرد إضاعة الوقت

٦. إشعار المتعلم بالاهتمام قبل الالتزام معنى جليل تشير إليه الآية الكريمة ﴿ وَأَنَا
 أَحْتَرِّتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾^(٣) .

٧. التعريف بمجمل المنهج وعدم الإطالة وتقسيمة إلى مراحل يتخللها شيء من
 البحث في شؤون الواقع يمهد لقبالية أشد في الأتباع والتلقي وحمل الرسالة
 فبعد طلب الاستماع لما يوحى عرض الله سبحانه وتعالى لموسى بشكل إجمالي :
 تعريف وتكليف ، وحكمة وتحذير :

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾^(٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ
 أُحْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ
 هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿٦﴾^(٤) .

٨. الصلاة والعبادة لله بإخلاص ، والفكر الصحيح المسند ﴿ ... لِمَا يُوحَى ﴾^(٥)
 أدوات ضرورية في تحمل مشاق الوصول إلى الهدف المنشود . وهذا التكليف
 لموسى - ﷺ - جاء قبل الكشف له عن مهمة المواجهة لفرعون فيما بعد .

(١) سورة طه : من الآية ١٢ .

(٢) سورة طه : من الآية ١٢ .

(٣) سورة طه : الآية ١٣ .

(٤) سورة طه : الآية ١٤ : ١٦ .

(٥) سورة طه : من الآية ١٣ .

ب) المبحث الثاني : معجزة موسى إلى فرعون :

جاءت معجزة موسى تحمل معنى البساطة ، ومنتقاة من البيئة التي يعيشها موسى ، وتتناسب مع أسلحة الخصوم - السحرة - في الصورة والمضمون . وكانت بهذا مواكبة للتطور الذي توصل إليه نخبة المجتمع الفرعوني من علوم .

وبعد الدرس الماضي من التعريف والتكليف ، ودهشة موسى - ﷺ - ، وما أصابه من الوجوم والعجب والسكوت في الاستماع ، يخرج الخطاب من هذا الجو الصامت بطريق السؤال ، ليفيق على مرحلة أخرى يعدلها ، ليحمل معجزة إلى جانب الرسالة تتوافق مع شدة وهول المواجهة مع فرعون .

وإذا كانت المعجزة تتألف من محورين ، محور العصا - الثعبان - كواحدة في مواجهة السلاح بسلاح مثله أو أشد منه ؛ فإن الثانية هي محور اليد البيضاء التي تخرج من غير سوء لمن أراد أن يستجيب للسلام الذي يدعو إليه موسى دون الحاجة إلى العنف وإراقة الدماء .

تقول د. الدجاني ، زاهية : " وتجدد الإشارة هنا إلى أن المعجزة الثانية التي أفاض بها الله تعالى على موسى ، قد تشير إلى أن كفاح موسى المقبل مع فرعون كفاح سلمي " (١)

﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَىٰ ﴿٩﴾ فَالْقَنَاءَ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿١٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿١١﴾ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴿١٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿١٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ (٢)

(١) المفهوم القرآني والتوراتي ، ص ٧١ .

(٢) سورة طه : من الآية ١٧ : ٢٤ .

المضامين التربوية :

١. السؤال والحوار: أسلوب تعليمي مفيد ، وهو ضروري لنجاح العملية التربوية شريطة أن يكون السؤال بقصد التنبيه والالتفات والتفاعل لا أن يكون السؤال تعجيزياً؛ كما هو الحال في بعض المناهج التدريسية الموجهة للأطفال في المراحل التعليمية والابتدائية ، حيث يعرض السؤال عن شيء مجهول لم يخبر به الطفل سابقاً ولا يكاد يستوعب فهم جوابه فيقف الطفل حائراً عاجزاً .

وموسى عليه السلام فطن لهذا المعنى ؛ فدعا بِكَلْبِك وعلا أن يشرح له صدره حتى يتيسر أمره وأن يحلل له عقدة من لسانه . ويذكر كثير من المفسرين سبب عقدة لسانه التهامه لجمرة وهو طفل زمن فرعون . ويبدو أن القصة ضعيفة فلا يعقل أن يحمل الطفل جمرة بيده فلا تحرق يده لتصل إلى فمه . وأطال بعض الباحثين حول هذه النقطة في النقل والتحليل بين أقوال المفسرين والمفكرين المسلمين المحدثين ، وبعض نصوص العهد القديم ، وخلص إلى القول أن " العيب الذي كان في لسان موسى لم يكن هو قلة الفصاحة بل حبسة في لسانه ... وأن لسان موسى لم ينفك تماماً " (١) .

والذي أميل إليه هو قول المناوي من أن حل عقدة لسانه " يعني به من قوة لسانه فإن العقدة لم تكن في الجارحة ، وإنما كانت في قوته التي هي النطق " (٢) .

فموسى عليه السلام ليس عيب اللسان ، وإلا لما رأيناه يدير الحوار كله مع فرعون وطلبه مؤازرته بأخيه هارون علها بأنه أفصح منه لسانا ، وهذا لا ينفي الفصاحة عن موسى بل يثبتها له ، كما ورد ذلك في سورة القصص :

(١) سورة طه : دراسة لغوية أسلوبية مقارنة ، ص ٧١-٧٢ .

(٢) التعريف ، ج ١ ، ص ٦١٨ - ٦١٩ .

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (١).

خوف موسى من تكذيب القوم له ، وخوفه من مطالبته بدم الرجل الذي كان من آل فرعون إذ قتله قبل البعثة ، ربما يضعف ذلك موقفه فلا ينطلق لسانه بالحجة . يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلْ إِلَىٰ هَارُونَ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (٢) .
ولا أجد دلالة على عي لسان موسى من قول الله تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٣) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يُكَادُ يُبِينُ ﴾ (٤) .

فكلام فرعون جاء من قبيل الاستعلاء من جهة ، والاستخفاف بموسى ﷺ من جهة أخرى . وإذا كان فرعون يتكلم عن تاريخ موسى قبل البعثة ؛ فماذا كان يمكن لموسى أن يبين وهو في قصر فرعون ، يرى الظلم والتقتيل لأطفال بني إسرائيل؟ أليس أهدر فيها دمه عند أول حادثته وكز فيها رجلا من آل فرعون ففضى عليه من غير قصد في قتله ؟

وابن كثير في تفسيره يكشف عن كذب فرعون في ادعائه فيقول : " قلت : وعلى كل تقدير فإنما يعني فرعون لعنه الله بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب في قوله هذا كذبا . بينا واضحا ... ويعني بقوله " مهين " كما قال سفيان حقيير " ولا يكاد

(١) سورة القصص : الآية ٣٤ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٢ : ١٤ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٥١ : ٥٢ .

يبين " يعني لا يكاد يفصح عن كلامه .. وهذا ما قاله فرعون لعنة الله كذب واختلاق ، وإنما حملة على هذا الكفر والعناد " (١) .

وجملة القول أن موسى عليه السلام طلب من الله تعالى تأييداً معنوياً ومادياً لحملته القادمة مع فرعون وقومه .

المضامين التربوية في مقطع السورة الأنف الذكر :

١. انشراح الصدر وانطلاق اللسان قضية أساسية في خدمة الأفكار التي يدعو إليها المصلحون .

٢. الاستنصار بأهل الفصاحة والبيان يخدم الدعوة الإيمانية من الناحية الإعلامية وهو عمل لا يقل أهمية عن المواجهة بالقوة المادية .

٣. المدافعون عن الدعوة ، المؤازرون لقيادتها هم أحق الناس بالاشتراك في الحكم وهي دعوة صريحة لنبذ التفرد والديكتاتورية .

٤. تقريب الأصدقاء وأهل العشيرة لا يكون على أساس عشائري ، وإنما على أساس المقدرة والكفاءة والإخلاص والقيام بأعباء العمل .

٥. نتاج الحوارات والمواجهات الفكرية يجب أن ينصب في معين التسبيح لله تعالى وكثرة الذكر وشكر النعم التي أنعمها الله على الأفراد والجماعات ومن هذه النعم الإيمان والصحة والعقل ، وإن واجه الإنسان ابتلاءات وتمحيصاً وتشريداً كما حدث مع موسى عليه السلام .

٦. إجابة الراعي أو المسئول أو المعلم لطلبات الرعية أو الطلبة إذا كانت تلك المطالب هادفة وبناءة وتخدم المصلحة العليا للفكر والعقيدة والعبادة .

(١) تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧ / ١٩٨٧ ، ج٤ ، ص ١٤٠ .

٧. عدم التخوف من مواجهة معالي الأمور، إذا عزم المرء وتوكل على الله وأخذ

بالأسباب .

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٧٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٧٨﴾ أَنْ اقْذِفِيهِ
فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ
وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٧٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُحْتَكُ فَتَقُولُ هَلْ
أَدْلُكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ
نَفْسًا فَتَجْحِنُكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَمِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ
عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ﴿٨٠﴾﴾ (١).

الباب الثاني : حياة موسى الاجتماعية .

(أ) البحث الأول : موسى في طفولته :

تصور الآيات حالة الفزع والخوف التي كانت تعيشها الأسرة ولد فيها موسى وهي حالة ليست فريدة ؛ فالقرار الفرعوني في تقتيل أطفال بني إسرائيل ، دفع أم موسى ويوحى إلهامي من الله تبارك وتعالى ؛ أن تقذف وليدها في التابوت فتقذفه في البحر فليلقه البحر على الساحل الفرعوني ، ليربى في بيت عدوه وعدو الله ، رغم كراهيتهم لهذا الصنف من البشر ، بل تلقى المحبة على الطفل الرضيع إلقاء . وتمشي الأخت لتدل القوم على من يرضعه لهم ، بعد أن حرم الله عليه المراضع . هذا المقطع يشكل حياة طفولة موسى منذ الولادة .

(١) سورة طه : الآية ٣٧ : ٤٠ .

المضامين التربوية فيه :

١. الوحي يكون أحياناً بالإلهام ، طالما أمر بخير وتحقيق مصلحة ولم يخالف نصاً ولا عقلاً^(١) صحيح أن إلقاء الطفل في البحر مخاطرة ولكنها أقل بكثير من مخاطرة تقديمه قرباناً للظالمين .
٢. عدم اليأس والقنوط في اللحظات الحرجة ؛ فلا طريق مسدود أمام المؤمنين بالله الذي يجعل لمن يتقي الله مخرجاً .
٣. كثيراً ما يكون تدمير الظالمين فيما يحيكونه من تدبير ؛ ففرعون يذهب ملكه على يد من آواه ، وأناه من حيث لا يحتسب .
٤. التماسك الأسري في البيوت الإيمانية يعطي نتائج عظيمة ، فمبادرة أم موسى ومشى أخته لقص أثره أدت ليس إلى نجاة طفل رضيع فقط ، وإنما لتغيير حقبة من التاريخ ما كانت لتحدث لو تهاون أفراد الأسرة وسلموا زمامهم للأمر الواقع - كما يقال - .
٥. العناية بالأمهات وتكريمهن والحرص على إبعاد الحزن وأسبابه عنهن مقصد عظيم من مقاصد الشريعة ، يجب وضعه في سلم أولويات الحياة الاجتماعية .
٦. الأفراد الذين يتعرضون للأزمات والنكبات ، عندهم قابلية الضلوع في أمور عظيمة إذا وافق ذلك قدر ليصنع بأيديهم .
٧. التوكل على الله والنظرة التفاؤلية للحياة تعطي فرصاً حقيقية للنهضة والغلبة والنصر .

(١) الوحي والإلهام : هو الكلام الخفي الذي يدور في نفس الموحى إليه ، ويتفاعل مع هواجسه ومشاعره حافظاً إياه إلى التصرف والتنفيذ الفعلي أو القول ، وليس هو وحي الأنبياء ، قصص القرآن الكريم ، ص ٤٧٦ .

لب المبحث الثاني : موسى في رجولته وشبابه :

﴿... وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ﴾ (١).

هذه الآيات لم تفصل تفصيلاً كاملاً لحياة موسى عليه السلام ، وإنما تناولت ما يتناسب مع وقائع الأحداث والأدوار الرئيسية في مواجهة فرعون ودعوته إلى عبادة الله .

وهي أدوار تشكل عقداً في تسلسل القصة ؛ فقاتل للنفس مطلوب ؛ كيف سيواجه خصومه ؟ وغريب عاش بعيداً عن وطنه متخفياً متوجساً ؛ كيف يعود للظهور في الحياة عند طالبيه ؟

ثم تفصح الآيات عن نفوذ يد القدرة الإلهية في الموضوع من أوله إلى آخره .

المضامين التربوية :

١. النظرة الإيمانية لإزهاق الأرواح نظرة تحفظية ؛ حتى وإن كانت تلك الروح هي

من الخصوم والأعداء ؛ فالقتل في حد ذاته ليس هدفاً في النزاعات .

٢. النفس الإيمانية تأبى أن تتعاش مع الخصومة والشجار والقتل وإن كان عن غير

عمد . فقد أصاب موسى عليه السلام الهم والغم جراء ما فعل .

٣. جواز وإباحة الفرار من وجه المحاكمات التي لا تحكم بالعدل والإنصاف والإيمان :

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢).

٤. الفتنة والابتلاء والاختبار تصنع الرجال الأشداء ؛ فلا يحمد أن تواجه بالاعتراض

والتذمر والارتياب .

(١) سورة طه : من الآية ٤٠ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ٢١ .

الباب الثالث : عودة موسى لآل فرعون لدعوتهم .

(أ) البحث الأول : حمل الرسالة إلى فرعون :

﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾
 أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾
 قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي
 مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرْزِي ﴿٤٦﴾ فَآتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي
 إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدَى
 ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ ﴾^(١).

مضمون الرسالة إلى فرعون : أن يرجع عن طغيانه :

﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾^(٢)

أي يتعظ ويخاف ويسلم .فإن قيل : كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه أنه لا

يتذكرو ولا يسلم ؟ قيل معناه : اذهب على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما^(٣)

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾^(٤).

" فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ، ولا يهيج الكبرياء الرائف الذي يعيش به الطغاة

ومن شأنه أنه يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان"^(٥).

وتنشأ هنا صورة من صور الحوار بين الله سبحانه ونبيه موسى وهارون لينتقل

المشهد من موقع مفاجأة موسى لربه عند الطور لـ " يطوي السياق المسافات والأبعاد

(١) سورة طه : الآيات ٤١ : ٤٨ .

(٢) سورة طه : الآيات ٤٣ : ٤٤ .

(٣) تفسير البيهقي ، ج ٣ ، ص ٢١٩ .

(٤) سورة طه : من الآية ٤٤ .

(٥) في ظلال القرآن ، ص ٢٣٣٦ .

والأزمان ، فإذا هارون مع موسى ، وإذا هما يكشفان لربهما عن خوفهما من مواجهة فرعون ، ومن التسرع في أداءه ومن طغيانه إذا دعواه " (١) .

﴿ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ (٤٨) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٩﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٥٠﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ (٢) .

ويطمئن موسى لوعده ربه فذهب عنه الروع والخوف وقدم هو وأخوه إلى فرعون لتبليغه رسالة ربه .
المضامين التربوية :

١. انضمام هارون إلى موسى في دعوته يؤكد على مبدأ التعاون في مجال البر والتقوى وهو أمر مطلوب دائماً .

٢. كل طريق يحتاج إلى زاد ﴿ ... خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى... ﴾ (٣) ، وذكر الله تعالى خير زاد لمواجهة الصعاب ؛ فهو من جانب فيه استغاثة والتجاء إلى الله ومن جانب آخر يعطي القلب قسطاً من الهدوء والراحة والطمأنينة . وهو أمر لا غنى عنه في مثل هذه المواقف .

لذلك أشارت الآية : ﴿ ... وَلَا تَنبَأْ فِي ذِكْرِي ﴾ (٤) أي لا تضعفأ .

(١) المصدر السابق نفسه .
(٢) سورة طه : الآيات ٤٥ : ٤٨ .
(٣) سورة البقرة : من الآية ١٩٧ .
(٤) سورة طه : من الآية ٤٢ .

٣. التغيير في المجتمعات يأتي عادة من جهة أصحاب القرار؛ فإذا كان المجتمع تحكمه المؤسسات؛ فالتغيير بحاجة إلى فعاليات الأفراد المنتمين إلى تلك المؤسسات.

﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ (١).
 وإذا كان المجتمع يخضع لحكم ديكتاتوري فالتغيير لا يتأتى إلا من جهة صاحب القرار فيه، وهو أعلى سلطة حاكمة؛ لذلك جاء التكليف لموسى وأخيه ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٢) هكذا مباشرة؛ فلا أحد غيره يملك قراراً في مملكته، ومع ذلك فهو طغى وتجاوز الحد، ولم يجد من يردعه.

٤. الدعوة باللين والحكمة والموعظة الحسنة تؤتي ثمارها:

﴿فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ تَحْشَىٰ﴾ (٣).

والرسول محمد ﷺ يؤكد على هذا المعنى بقوله "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه" (٤).

٥. كلما زادت وقويت السلطة من غير وازع إيماني أو أخلاقي، وفي ظل غياب يبدأ المحاسبة؛ كان في المقابل زيادة في البطش والظلم والطفغيان، وعدم التحكم في الانفعالات:

﴿.... خَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ (٥).

ويقول النبي ﷺ: "إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان" (٦).

(١) سورة الرعد: من الآية ١١.

(٢) سورة طه: الآية ٤٣.

(٣) سورة طه: الآية ٤٤.

(٤) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٠٤.

(٥) سورة طه: من الآية ٤٥.

(٦) مسند أحمد، ج ٤، ص ٢٢٦.

٦. الخوف انفعال سلبي لا تقوم معه حضارة لأفراد ولا مجتمعات ، وهو داء يمكن

معالجته بالإيمان والخوف من الله ، والوعي والعلم والتضحيات .

٧. التمادي في الظلم والعدوان يقرب أصحابه من الهلاك ؛ فكلما اشتدت الأزمت ،

لا بد وأن تكون يد القدرة الإلهية تهيئ الأسباب للتغيير :

﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (١)

فالله سبحانه يعدّ موسى وهارون لمهمة هو يعلم أولها وآخرها ، ويعلم أسبابها
ونتائجها .

(ب) البحث الثاني :

﴿ فَأَتِيَاهُ فُقُولًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ
بِعَايَةِ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ أَهْدَى ﴾ (٢) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ
عَلَيَّ مِنْ كَذَّبٍ وَتَوَلَّى ﴾ (٣)

وعند هذا الحديفهم فرعون فحوى الكلام ومدلوله ، ولم يعلق على قضية بني إسرائيل
فلا إنكار في تعذيبهم ، ولهاوتهم عليه لم يلتفت حتى لموضوع خروجهم كأحد مطالب موسى
والشيء الذي شده : قضية الربوبية :

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴾ (٣)

وبهذا فتح باب الحوار ، وهو اعتراف ضمني بالمقابل اعتراف الند والنظير ، بعد أن
كان موسى طريداً مطلوباً .

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴾ (٤) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ
هَدَى ﴾ (٥) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ (٦) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا

(١) سورة طه : الآية ٤٦ .

(٢) سورة طه : الآيات ٤٧ : ٤٨ .

(٣) سورة طه : الآية ٤٩ .

يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٧﴾ كُلُوا وَارْعَوْا
أَنْعَمَكُمُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٨﴾ * مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ
وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٦٠﴾ قَالَ
أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٦١﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ
فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٦٢﴾ قَالَ
مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٦٣﴾ ﴿١﴾ .

ويجيب موسى ﷺ ويعرف صفات ربه وخالقه ، معرّضاً بغفلة فرعون عن نعم الله
التي يتنعم بها ولا يؤمن به ولا يشكره ، ويقرب إليه الإيمان بضرب الأمثلة الحسية ، وذلك
بنزول المطر واختلاف النباتات ، ومن ثم البعث للأموات ولكن فرعون يكذب ذلك كله
رغم الآيات والدلائل ، وبتهم موسى بالتآمر والسحر وكانت التهمة الأولى لإحباط المشروع
السياسي لإخراج بني إسرائيل ، والثانية لنزع صفة النبوة التي جاء بها موسى وإنهاء
الأفكار التي يحملها ، وهي أفكار بلا شك تؤثر على سلطان فرعون وتجبره وتسلبه وادعائه
الربوبية .

ويطرح فرعون - متحدياً - لقاءً يجمع موسى والسحرة ؛ ليثبت وجهة نظره
ويصرف موسى وما جاء به من أفكار .

المضامين التربوية :

١. رفع الظلم عن الشعوب هو مطلب من أولويات العمل لبناء الدولة النموذجية
فالدعوة إلى فرعون إلى أن يتذكر أو يخشى لم تترك فراغاً وانتظاراً لأحقاب الزمن
حتى يمين على الشعب بالرضى والعدل ؛ فكان لزاماً أن يصاحب ذلك إخراج بني

(١) سورة طه : الآيات ٤٩ : ٥٩ .

إسرائيل من أرضه وتخليصهم من عذابه فالشعب المقهور لا يقوى على العطاء والإبداع .

٢. من علامات نجاح الزعيم الصادق والمخلص : اهتمامه بقضايا شعبه وتخليصهم من نير الاستعباد والعذاب .

٣. أية دعوة لا يقيم أصحابها الدليل من الواقع على صدق أفكارها وصحة مسارها لا تكتب لها الحياة :

﴿..... فَأَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِغَايَةِ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ (١) .

٤. ضرورة تفعيل الدور الإعلامي ونفي التشكيكات التي تتأثر من جهة الأعداء

والاعتماد على الخطاب اليقيني ليسود السلام الحقيقي والاطمئنان ربوع الناس

٥. توظيف الآيات الكونية لإثبات دلالاتها العقدية ، وتصحيح المفاهيم العالقة في أذهان المنكرين للغيب .

٦. قبول التحدي القائم على أساس حصر الوجود والحياة والإنسان في النظريات

المادية وإقامة المهرجانات العلنية من قبل المؤمنين المتمكنين في العلم والتخصص والثقافة ؛ لإنقاذ البشرية من علمنة العصر .

٧. عدم استهانة الدعاة بخصومهم وأساليبهم وقدراتهم ؛ مما يستدعي التهيؤ والإعداد

الكافي للمواجهة الفكرية ، والتنبيه لاحتمالات نقل الصراع وتسييسه بغرض الإيقاع والاتهام .

(١) سورة طه : من الآية ٤٧ .

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦١﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦٢﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٣﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَىٰ ﴿٦٤﴾ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوْا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰٓ اِمْأًا أَنْ تَلْقَىٰ وَاِمْأًا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مِّنَ الْغَىٰ ﴿٦٦﴾ قَالَ بَلْ اَلْقُوا فَاِذَا حِبَاهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ اِلَيْهِ مِّنْ سِحْرِهِمْ اَنْهَآ تَسْعَىٰ ﴿٦٧﴾ ۝ (١) .

لج) البحث الثالث: حوار موسى للسحرة :

يدرك موسى ﷺ صنيع الكيد الفرعوني ، ويهاجم السحرة قبل النزال ليضعف شيئاً من عزيمتهم ومعنوياتهم :

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ۝ (٢) .

وفعل السحر في هذا المقام لا يحسب على أنه مجرد ألعاب بهلوانية وتحويل العصى إلى أفاعي . فالجماهير المحتشدة في يوم الزينة أحد الأعياد الوطنية الفرعونية ، سوف تتجه في إيمانها لأحد الفريقين ؛ فإذا نجح السحرة تسببوا في إضلال الناس إلى يوم يعثون لذلك تجراً موسى في تسفيه أحلامهم بقوله :

﴿ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ۝ (٣) .

ويبدو أن هذا الخطاب أثر في بعضهم ؛ فسارعوا إلى التناجي ليكونوا فريقاً واحداً يؤيد فرعون ؛ فرددوا التهم التي ألقاها فرعون نفسها :

(١) سورة طه : الآيات ٦٠ : ٦٦ .

(٢) سورة طه : الآية ٦١ .

(٣) سورة طه : من الآية ٦١ .

﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ تُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴾ (١)

أي : " ويستبدًا بهذه الطريقة وهي السحر دونكم ، ويسيطران على مكاسبها المادية ومراتبها ، وهذا يدل على أن السحرة نظروا إلى موسى وهارون على أنهما منافسان خطيران لهم على صناعة السحر وأرباحها وفوائدها " (٢) .

ثم وصى بعضهم بعضاً بالاتحاد والقوة للفلاح والاستعلاء ، وخيروا موسى بالإلقاء فقدمهم موسى ليرى سحرهم وإعدادهم ، فألقوا الحبال والعصى فتحولت إلى مئات الثعابين (٣) .

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ۗ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ۗ وَآلَقِيَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (٤)

والخوف الذي انتاب موسى ﷺ هو " أن يفتتن الناس قبل أن يلقي عصاه " (٥) فخاف أن يتفوق السحرة ، وقد ﴿ ... وَجَاءَ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ (٦) ولكنه أضمر هذا الخوف رغم أن الخوف الفطري لا يعيب ، والحنكة في المواجهات أن يتجلد المرء تجاه الأعداء .

ولم تطل هواجس موسى حتى جاءه الوحي من الله :

(١) سورة طه : الآية ٦٣ .

(٢) سبيل السعادة في سورة طه ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٣) قيل في عدد السحرة : إنهم كانوا تسعة عشر ألفا ، وخمسة عشر ألفا . وعن ابن عباس : كانوا سبعين رجلا . انظر : تفسير ابن كثير ، ط ، بيروت ، ١٤٠١ ، ج ٣ ، ص ١٥٩ .

(٤) سورة طه : الآيات ٦٧ : ٦٩ .

(٥) تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ٢٢٢ .

(٦) سورة الأعراف : من الآية ١١٦ .

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ (١).

وهكذا كان .. وألقي موسى عصاه ؛ فإذا هي حية كبرى تبتلع ما ألقاه السحرة.
قال القرطبي : " فألقي عصاه فإذا هي ثعبان ميين فاغرفاه يبتلع حبالهم وعصيدهم
فألقي السحرة عند ذلك سجداً فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها " (٢)
المضامين التربوية :

١. الاهتمام بالرأي العام وأثره ؛ ففرعون كان قادراً أن يقمع موسى فيسجنه أو يقتله عند لقاءه وحواره ، ولكنه آثر ألا يفعل ذلك .
﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٣) .
٢. الاهتمام بالبيت الدعائي ، وتقويض مواقف العدو ، ﴿ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَيَلْكُمُ ... ﴾ (٤)
فأثر قوله فيهم ﴿ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ ... ﴾ (٥) .
٣. عدم إظهار الخلافات الداخلية وتعدد وجهات النظر فيما يتعلق بالحروب والمخاصمات ، والظهور بالموقف الثابت .
٤. الحرب الدعائية عادة تقلب الحقائق، ولا تعتمد المبادئ والأخلاق في عملها
فالسحرة اتهموا موسى كما اتهمه فرعون من قبل أنه يريد إخراجهم من أرضهم
في الوقت الذي كان موسى يريد إخراج بني إسرائيل وترك الأرض وما عليها لهم
٥. الصبر والصمود أمام صولة الباطل ؛ فالسحرة كانوا يرتجون ثواب الدنيا دون تمييز أو ترجيح لجانب الحق .

(١) سورة طه : الآيات ٦٨ : ٦٩ .

(٢) تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ٢٢٢ .

(٣) سورة طه : الآية ٦٠ .

(٤) سورة طه : من الآية ٦١ .

(٥) سورة طه : من الآية ٦١ .

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ
الْغَالِبِينَ ﴾ (١)

ويروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام قوله : " صولة الباطل ساعة ، وصولة الحق إلى
قيام الساعة " (٢) .

٦. الاستفادة من عنصر المفاجأة في المواجهات ؛ فموسى عليه السلام خير بين أن يلقي أو
يلقي السحرة . فاختر أن يؤخر مفاجأته من جهة ويطلع على قوة وسلاح العدو
من جهة أخرى ؛ لعله يجد الرد المناسب .

٧. كل كيد يقوم على أساس صناعة الأباطيل وتخويف الضعفاء . ﴿ ... سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُهُمْ ... ﴾ (٣) . والتزوير وقلب الحقائق ؛ لا يكتب له
الفلاح ولا النجاح . ﴿ .. وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (٤) .

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ (٥) قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ
ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ
خَلْفٍ وَلَا صَلْبِنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ (٦) قَالُوا لَنْ
نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي
هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٧) إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ
السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٨) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا
يَحْيَىٰ ﴾ (٩) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ (١٠)
جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (١١) (٥) .

(١) سورة الأعراف : الآية ١١٣ .

(٢) خزائن الأدب ، ج ١ ، ٧٤ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١١٣ .

(٤) سورة طه : من الآية ٦٩ .

(٥) سورة طه : الآيات ٧٠ : ٧٦ .

لداالمبحث الرابع : حوار السحرة لفرعون بعد إيمانهم :

" الإيمان ونخلخل موازين القوي "

كل القوة المادية كانت بجانب فرعون وجنده - المكان والزمان والجمهور - ولم يخطر ببال أحد منهم أن موازين القوى ستقلب في لحظة - لحظة التقام حية موسى جميع الأفاعي التي ازدحمت فيها حلبة اللقاء - وجاء التعبير بـ ﴿.. تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا ...﴾ (١) لتضفي على الجو سرعة الحركة للأكل (٢). فأسقط في يد السحرة ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (٣) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَبْرِينَ ﴿١٨٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٩٠﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩١﴾ (٤) فقد فرعون سلاحه الذي أعده وجمعه ، وانقلب على أصدقائه ومناصريه ، ﴿ قَالَ ءَأَمْنَتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ (٥) .

اعترض على إيمان بغير إذنه واتهم وحكم وتوعد وعربد (٥) . وبهذا حرف الحوار عن مساره وطبيعته .

إنه لم يفعل ذلك مع موسى ؛ لأن الهيبة والجلال اللذان اتسم بهما النبي بتأييد الله

تعالى ؛ حيث قضى فقال :

﴿ ... لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (٦)

أم لأن فرعون لم يتحمل صدمة النتيجة فأخذ يتخبط في قوله وفعله مع السحرة ؟ .

(١) سورة طه : من الآية ٦٩ .

(٢) في ظلال القرآن ، ص ٢٥٩٥ .

(٣) سورة الأعراف : الآيات ١١٧ : ١٢١ .

(٤) سورة طه : الآيات ١١٧ : ١٢١ .

(٥) عربد : العريضة : سوء الخلق . ورجل معربد : يؤدي نديمه في سكره ، لسان العرب ، ج ٣ ص ٢٨٩ .

(٦) سورة طه : من الآية ٦٩ .

في الصورة المقابلة اتسم السحرة بالإيمان والهدوء والقوة في المنطق والتحدي وتسلسل الأفكار.

﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (١)

ونادراً أن يقف أحد موقف السحرة بعد إيمانهم ذلك الموقف الرهيب العجيب فتهديد فرعون ووعيده لم يضعف عزيمتهم ، بل جاء إيمانهم يفوق التصور فأثروا الآخرة على الدين ، وأثروا الدلائل والبراهين على زخارف الملك ووقفوا موقف التحدي ، واعترفوا بذنوبهم في العهد السابق ، وطلبوا المغفرة من الله ، وأقروا بالآخرة وثوابها وتبرؤوا من النار وأصحابها وطمعوا في الدرجات العالية في الجنة وانتهى أمر السحرة عند فرعون ؛ "فقتلهم وصلبهم ... وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى ، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى ، فخالف بين العضوين في القطع ويقال : إن أول من سن هذا القطع فرعون " (٢).

المضامين التربوية :

١. المبادرة والإسراع في اقتناص فرص الخير ، والتمسك بالحجج والبراهين :

﴿ قَالُوا أَلَسَّحْرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (٣).

٢. السجود علامة وشعار الإيمان يتصف به المؤمنون كل عصر؛ فلا ينبغي أن ينصرف لغير الله .

٣. مناصرة أهل الباطل تنتهي بانقلاب بعضهم على بعض .

(١) سورة طه : الآية ٧٢ .

(٢) تفسير الطبري ، ج ٩ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٣) سورة طه : الآية ٧٠ .

٤. إلقاء التهم جزافاً تدل على إفلاس فكري عند أهل الباطل ، وتشير بتضعف موافقهم .

﴿ قَالَ ءَأَمْنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ... ﴾ (١) .

٥. التفنن في تعذيب البشر يدل على الانحدار الفكري والانحراف العقدي والتوتر النفسي لدى الظالمين المتسلطين .

٦. التضحية بالنفس والمال والشهرة والمنصب هي ضريبة المؤمنين المجاهدين في كل عصر ؛ يدفعونها كلما كانت مصلحة عامة تقتضي هذه التضحية .

٧. الإيمان الصادق يقتضي التبرؤ من الخطايا والتمرد على عمليات الإكراه والضغط الذي يمارس عادة من قبل أصحاب النفوذ لشراء الذمم والضمان .

٨. الدعوة بالكلمة والحكمة والموعظة الحسنة لا بد أن تؤتي ثمارها ولو بعد حين؛ فالسحرة في لحظة إيمان استعادوا الأفكار والتعاليم التي سمعوها من هارون وموسى فيما مضى ليترنموا بها على مسمع فرعون والجماهير الحاضرة يوم الزينة الذي تحول إلى يوم بنئيس في تاريخ فرعون .

٩. خمود الدعاية المضللة بعد انكسار شوكتها وهزيمتها؛ فإيمان السحرة وسرد بيانهم الإيماني لم يجد مقاطعة ولا معارضة كلامية من فرعون وقومه ولا وجد حواراً ، وانتهى الإعلام الفرعوني عند آخر تهديد ووعد لهم ، ولم يؤثر فيهم .

١٠. المواقف الإيمانية العظيمة تشكل تزكيه واقعية للنفس وتمهد الطريق إلى الجنة .

(١) سورة طه : من الآية ٧١ .

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۗ ﴾ (٧٧) فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ آيَمٍ مَا عَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ (٧٩) يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْآمَنَ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠) كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿ (٨٢)﴾ (١).

الثالث : (الطور الجديد في حياة بني إسرائيل) :

(أ) المبحث الأول : غرق فرعون بعد خروج بني إسرائيل :

بعد أن أنهى فرعون حسابه مع السحرة ؛ أراد أن يأتي بموسى وبمن معه للمحاكمة أو القصاص ، ولكن أمر الله تعالى سبق لموسى ؛ فأوحى الله سبحانه إلى موسى أن يخرج بعباده ليلاً تجاه البحر ، ولفظة عباد هنا للتشريف للمؤمنين الذين اتبعوا موسى .

ومسير الليل كان قد تدرب عليه موسى من قبل ، وهو خبير في الطريق التي أعد لها فخرج مطمئناً بوعد الله ﴿ ... لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ (٧٧) (٢) وأسرع فرعون وجنده في اللحاق بهم ؛ فشاهد بعضهم بعضاً عند شاطئ البحر ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (٦١) (٣) . ويجيب موسى إجابة الواثق ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٦٢) (٤) .

(١) سورة طه : الآيات ٧٧ : ٨٢ .

(٢) سورة طه : من الآية ٧٧ .

(٣) سورة الشعراء : الآية ٦١ .

(٤) سورة الشعراء : الآية ٦٢ .

وهنا يضرب موسى البحر بعصاه فينشق البحر وينعزل الماء فيعبر موسى ومن معه ويتبعهم فرعون وجنده للاحقين بهم؛ فيخرج موسى وقومه ومن معه، ويغرق فرعون وجنوده، وبهذا يكون فرعون جر على قومه الويل والهلاك وما هداهم سبيل الرشاد. ويذكر الله سبحانه بني إسرائيل بما أنعم عليهم ليبدؤوا حياة آمنة مطمئنة وأنزل عليهم من السماء رزقاً وحذرهم من الطغيان حتى لا ينزل بهم غضبه فاتحاً لهم باب التوبة لمن يخطئ ويستغفر. المضمامين التربوية :

١. المبادرة والسرعة في درء الأخطار والاستعانة على ذلك بالسر والكتمان حتى لا يستفيد العدو من خبر تحركات المؤمنين ﴿... أَنْ أَسْرِبِعِبَادِي...﴾^(١) أى سريهم ليلاً.
٢. رفع المعنويات والتطمينات الحقيقية للجند هو درس للقيادة في دعم أفرادها في الملمات الصعبة ﴿... لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾^(٢).
٣. الحرص واليقظة والتنبيه لتحركات العدو وملاحقاته. ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ...﴾^(٣).
٤. التواضع في وصف النصر الذي تحققه الأمة، وعدم الإطالة في التشنيع والمهاترات فالنص القرآني اختصر القضاء على فرعون وجنده بقول ﴿... فَعَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَاشَيْهِمْ﴾^(٤).

(١) سورة طه : من الآية ٧٧ .
(٢) سورة طه : من الآية ٧٧ .
(٣) سورة طه : من الآية ٧٨ .
(٤) سورة طه : من الآية ٧٨ .

٥. الهدف من المواجهات بين المؤمنين وأعدائهم في المنظر الإسلامي تحقيق الهداية للبشر، ورفع سلطان القيادات الضالة التي تعمل على انحراف مسيرة الإيمان عند الناس ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ (٧٩) (١).

٦. الاهتمام بالإصلاحات الداخلية، وخصوصاً الاقتصادية منها وتحقيق الأمن الغذائي كمطلب رئيس، وذلك فور انتهاء المواجهات مع الأعداء. ﴿ يَبَيِّنُ إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْنَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ (٨٠) (٢).

٧. التحذير من الرخاء والحياة الرغيدة أن تؤدي بأصحابها إلى الطغيان ومن ثم حلول غضب الله تعالى، حال عدم الشكر على نعمه. ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ... ﴾ (٨١) (٣).

٨. التعامل مع الأخطاء والزلات العابرة بروح التسامح شريطة الإيمان والاجتهاد في المجال الإصلاحية والتسديد نحو الهداية. ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (٨٢) (٤).

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرَىٰ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْرَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا

(١) سورة طه: الآية ٧٩.

(٢) سورة طه: الآية ٨٠.

(٣) سورة طه: من الآية ٨١.

(٤) سورة طه: من الآية ٨٢.

إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَتَسِيءَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرْمًا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ (١).

ب) البحث الثاني : تجسيد ردة بني إسرائيل في قصة السامري :

ما بين نجاة بني إسرائيل من فرعون في البحر وقضية السامري وصناعة العجل، وبين غياب موسى لميقات ربه ؛ كانت ردة لبني إسرائيل خلال فترة وجيزة، لا تتجاوز الأربعين يوماً ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِهَا بِعَشْرَ فِتْنَةٍ مَّقَلْتُ رَبِّيَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَحْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٩٢﴾ (٢).

وموسى ﷺ يوصى أخاه هارون وهو يستشعر شيئاً من الفساد في نفوس بني إسرائيل ؛ فقد سبق وأن سألوا موسى أن يجعل لهم صنماً ليعبدوه . يقول الله تعالى : ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ ﴿٩٣﴾ (٣).

وعند مواعدة موسى لميقات ربه يلبث بنو إسرائيل أن انقلبوا على أعقابهم كفراً وظلماً . ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ﴿٩٤﴾ (٤).

وكان " موسى اختار من قومه سبعين رجلاً حتى يذهبوا معه إلى الجبل ليأخذوا التوراة ، فسار بهم ، ثم عجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه ﷻ ، وخلف السبعين وأمرهم

(١) سورة طه : الآيات ٨٣ : ٨٩ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ١٤٢ .
(٣) سورة الأعراف : الآية ١٣٨ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٥١ .

أن يتبعوه إلى الجبل ، فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ﴾^(١) قال مجيباً لربه تعالى : ﴿ ... وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾^(٢) ؛ لتزداد رضا ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ... ﴾^(٣) أي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون^(٤) ﴿ ... وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾^(٥) .

وبغض النظر عن شخصية السامري وقوميته ؛ فالنصوص توحى بأنه رجل استغل فترة غياب موسى ، ونزعة الصنمية في نفوس بني إسرائيل ؛ فصنع لهم عجلاً من الحلي برسم التزيين في عيد لهم قبيل الخروج من مصر^(٦) .

وكان السامري استخدم شيئاً من موروث الدين والإيمان والآيات ؛ فأخذ ملء كفه من تراب موطن فرس جبريل عليه السلام^(٧) فنبيها " على حلية بني إسرائيل فانقلبت عجلاً"^(٨) فعبده وقالوا قولاً فاحشاً كما أخبر عنهم القرآن في قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌّ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾^(٩) .

وعندما رجع موسى إلى قومه غضب غضباً شديداً وأنب قومه على ما فعلوا فاعتذروا بأعذار لا وجه لها ولا شبهة ، وكان يكفي أن يدركوا حقيقة العجل الصنم وهو لا يتكلم ولا يجيب ولا يملك ضراً ويملك نفعاً .

(١) سورة طه : من الآية ٨٣ .

(٢) سورة طه : من الآية ٨٤ .

(٣) سورة طه : من الآية ٨٥ .

(٤) تفسير البغوي ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ .

(٥) سورة طه : من الآية ٨٥ .

(٦) روح المعاني ، ج ١٦ ، ص ٢٤٦ .

(٧) التبيان في تفسير غريب القرآن ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

(٨) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٥٩٦ .

(٩) سورة طه : من الآية ٨٨ .

المضامين التربوية :

١. ابتعاد القيادة عن مسرح الأحداث تترك فراغاً يمكن أن يستغل من قبل المغرضين فغياب موسى في ميقات ربه استغلة السامري ؛ فأضل القوم عن سواء السبيل
٢. التربية الإيمانية تحتاج إلى فترات طويلة متعاقبة ؛ حتى تمسح الرواسب الجاهلية العالقة في أذهان ونفوس حديثي العهد بالإيمان .
٣. خطورة الفتن الفكرية والعقدية حيث تؤدي غالباً إلى الضلال وربما الكفر والإلحاد
٤. التمسك بأمور دينية تشريعية ؛ لا يكفي ولا يدل على سلامة الاعتقاد بالضرورة فبنو إسرائيل أرادوا التخلص من أوزار الحلي المستعارة من القبط بزعمهم فألقوها في صياغة العجل الذي عبده ؛ حيث استدرجهم لذلك السامري .
٥. ضرورة الوعي والتنبيه لدعوات المغرضين في استغلال بعض الأحكام الدينية عند البسطاء من الناس .
٦. التلطف بالجهلة والمنحرفين في دعوتهم وتصحيح مسارهم وسلوكهم حتى لا يتسع الخرق على الراقق . ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَنقُومِ أَلَمَ يَعيدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ... ﴾^(١) . ولفظة " يا قوم " فيها شيء من التحبب والتقرب .
٧. الاستماع إلى حجة الجاهل وإن كان لا قيمة لها ، ولكنها في النهاية تفيد في معرفة مصدر الضلال الذي ينفث في خلد الجاهلين ﴿ ... فَقَدَفْنَهَا فَكَذَّبَكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾^(٢) .

(١) سورة طه : من الآية ٨٧ .

(٢) سورة طه : من الآية ٨٧ .

٨. استخدام الخطاب والحوار العقلاني وقطع الشبهات عقلا ، ومقصد من مقاصد الشريعة لا غني عنه ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ (١) .

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ (٢) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿١١﴾ قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿١٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (٣) .

لج) المبحث الثالث : هارون في مواجهة المحنة :

لم يترك هارون عليه السلام " الحبل على الغارب " (٣) في فتنة إسرائيل وعبادتهم العجل وإنما حاورهم وبين لهم ، وخاطب عقولهم ووجدانهم ، وتوودد إليهم :

﴿ ... يَنْقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ (٤) .

يقول هارون : " إنما فتنتم به - العجل - إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيهم الخوار ؛ ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب الشاك في دينه " (٥) .

(١) سورة طه : الآية ٨٩ .

(٢) سورة طه : الآيات ٩٠ : ٩٤ .

(٣) الغارب : ما بين السنام إلى العنق ، ومنه قولهم حبلك على غاربك ؛ أي أذهبى حيث شئت - الناقة - ، مختار الصحاح ، ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

(٤) سورة طه : من الآية ٩٠ .

(٥) تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

ولكن القوم لم يستجيبوا لنصح خليفتهم النبي: ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ (١)؛ "أي لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إلينا موسى؛ فننظر هل يعبده كما عبدناه" (٢).

ويعود موسى عليه السلام على أخيه هارون في الحوار بعد أن انتهى من حوار قومه الذين أوصلوه إلى طرف خيط الضلال "السامري"، وكان حواراً قاسياً مع هارون فأين الأثر والدفاع عن الدعوة وهو موكل بها ومستخلف من قبل موسى، ونيي مشارك منذ بداية الدعوة والنبوة؟.

فنجد موسى صب على أخيه "جام غضبه منكرًا تقصيره في تحمل مسؤوليته فيطلب منه أخوه ألا يشمت به الأعداء؛ فقد استضعفوه وكادوا يقتلونه" (٣).

ونجد الانفعال الناتج عن غضب موسى يتحرك ويتنقل بصورة عنيفة فيشد رأس أخيه ولحيته، ونجد في المقابل شخصية هارون الهادئة الرزنية من غير انفعال فهو عليه السلام محاور وديبلوماسي من الطراز الفريد، ولم يكن ذلك عن ضعف ولا هوان فهو غلب المصلحة العليا وأخذ بأخذ الضررين؛ مداراة لبني إسرائيل خشية الانقسام والاختلاف والتفرق ﴿... إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ (٤).

وهكذا نجد هارون أهدأ أعصاباً وأملك لانفعاله من موسى؛ فهو يلمس في مشاعره نقطة حساسة، ويحس له من ناحية الرحم وهي أشد حساسية، ويعرض له وجهة نظره في صورة الطاعة لأمره حسب تقديره، وأنه خشى إن هو عالج الأمر بالعنف أن يتفرق بنو

(١) سورة طه: الآية ٩١.

(٢) تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٢٣٧.

(٣) لغة الحوار في القرآن الكريم، ص ٤٩.

(٤) سورة طه: الآية ٩١.

إسرائيل شيعاً؛ بعضها مع العجل وبعضها مع نصيحة هارون ، وقد أمره بأن يحافظ على بني إسرائيل ولا يحدث فيهم أمراً" (١) .

واستطاع هارون بحنكته وهدوئه أن يمتص الغضب الشائر في نفس موسى ليتجه مبدأً المحاسبة والمحاكمة في مساره الصحيح والأساس ، وعدم إهدار الجهود في معالجات جانبية ؛ فنرى موسى بعد ذلك قد اتجه إلى السامري يحاوره ويحاكمه المضمين التربوية :

١ . قوة السلطان توجد عند الناس رادعاً أقوى من سحر الموعظة وحجة العقل والبيان وهي هنا متمثلة بموسى عليه السلام ؛ فكان غيابه قد أغرى الإسرائيليين في التمرد على وعظ هارون ونصيحته ؛ لذلك نرى في الأثر: " إن الله لينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن " (٢) .

٢ . الجهل والضلال يقترنان غالباً بالعناد ، ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ (٣) .

٣ . الثقافة والفصاحة والبيان علامات فارقة في بناء الشخصية السياسية المحنكة
٤ . الانقسام والتفرق والاختلاف كبيرة لا تقل خطورة عن الانحراف العقدي والفكري ، بل إن الدولة تستوعب الخلاف ، ولكن الاختلاف والنزاع والتفرق لا يقيم دولة ولا يساهم في إنشائها .

٥ . الصبر والتحمل للانفعالات الشخصية ظاهرة صحية في استيعاب الخلاف لتغليب المصلحة العامة .

(١) في ظلال القرآن ، ص ٢٣٤٨ .
(٢) هذا الأثر ذكره ابن كثير مرفوعاً في تفسيره ، ج ٣ ، ص ٦٠ ، وذكره ابن تيمية في فتاويه منسوباً إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه . أنظر مجموع الفتاوي ، ج ١١ ، ص ٤١٦ .
(٣) سورة طه : الآية ٩١ .

٦. تفعيل الاتصال بين أفراد الدعوة ورجالات الحكم والسياسة ، وسائر الأجهزة والمؤسسات - ومنها التعليمية - يثري العملية التربوية والاجتماعية والسياسية وغيرها في معالجة الأخطاء أولاً بأول ؛ فانقطاع الاتصال بين موسى وهارون كان له أثر سلبي في مجتمع بني إسرائيل .

٧. القوى الفكرية والدينية مسئولة بشكل رئيس في تقويم وتصحيح مسار المجتمعات فموسى أخذ بلحية أخيه ورأسه الدينى ؛ في إشارة إلى الدور والفكري (العقلي) .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِيرِيُّ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنَ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَيْتُكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٦٦﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخَلَّفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٦٧﴾ إِنَّمَا إِلْهِكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٦٨﴾ ﴾^(١) .

د) المبحث الرابع : محاكمة السامري :

علم موسى من بني إسرائيل أن بذرة الانحراف عندهم في فترة غياب موسى كانت بفعل السامري ؛ فسأل موسى السامري عما فعل فاعترف السامري في تعريض واضح لإبراز قدراته العلمية والدينية ، وإن شاب ذلك كله إقرار بما سولت له نفسه من شر عاد بالضلال على بني إسرائيل .

ويرى الخفاجي^(٢) : أن " حال شخصية السامري لا تختلف عن شخصية فرعون فهو الرجل الموهوب الذي برع في فن صناعة التماثيل ، كما وضع في صنع تماثيل أجوف لعجل من البقر، وهو أيضاً صاحب معرفة بالعلوم التطبيقية المتعلقة بالمعادن وخواص

(١) سورة طه : الآيات ٩٥ : ٩٨ .

(٢) رؤية فنية لنص قرآني ، ص ٦٣ .

الصوت الفيزيائي ، وهو ذو حظ وافر من المعرفة اللاهوتية المصرية القديمة ، التي أعادته إليها بعد إيمانه بموسى وربه " ويبدو أن شخصية السامري هي أقرب إلى شخصية السحرة منها إلى شخصية فرعون ؛ فسمه الاستكبار والتعالي الفرعوني لم تظهر فيه خلال الحوار مع موسى .

وإذا كان المجتمع الفرعوني يعج بالعجائب من علوم السحر والعمارة والطب والتحنيط ؛ فإن شخصاً كالسامري يحرص بمواهبه أن يكون له في المجتمع شهرة تشير إليه بالبنان ؛ هذا هو الهدف الظاهر فألبسه لباس الدين كما يفعل المشعوذون والكهنة لاكتساب شيء من الشرعية المزيفة فيما يفعلون ؛ لذلك كانت المحاكمة التي عقدها له موسى ﷺ ، تجازيه بعقوبة من جنس العمل ؛ لذلك كان القرار الموسوي : ﴿ قَالَ فَادَّهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ... ﴾^(١) والمعنى : " اذهب مطروداً لا يمسك أحد لا بسوء ولا بخير ولا تمس أحداً وكانت هذه إحدى العقوبات في ديانة موسى ؛ عقوبة العزل وإعلان الدنس المدنس ؛ فلا يقربه أحد ولا يقرب أحداً " ^(٢) .

أما ما يخص إعراضه عن الآخرة والثواب فجزاؤه يوم القيامة ﴿ ... وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ... ﴾^(٣) .

ويبقى الإله المصنوع من المعدن ؛ فينسبه موسى إلى صانعه المهين ﴿ ... وَأَنْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ... ﴾^(٤) . تبرؤاً ورداً على مقولتهم : ﴿ ... هَذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾^(٥) . فلم ينس موسى إعادة الاعتبار إلى نفسه وإلا أخيه وإلى

(١) سورة طه : من الآية ٩٧ .
 (٢) في ظلال القرآن ، ص ٢٣٤٩ .
 (٣) سورة طه : من الآية ٩٧ .
 (٤) سورة طه : من الآية ٩٧ .
 (٥) سورة طه : من الآية ٨٨ .

العقيدة والرسالة التي يحمل ، ولم ينسى أن يعيد العجل المصنوع إلى حالته الأولى بالصهر والإحراق ﴿... لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (١) أي : لنذرينه في البحر (٢) .
 " وعلى مشهد الإله المزيف يعلن موسى - ﷺ - حقيقة العقيدة (٣) : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (٤) ؛ أي : "وسع علمه كل شيء" (٥) .

المضامين التربوية :

١. مشروعية سؤال المتهم حول ما ينسب إليه ، وإتاحة المجال له للدفاع عن نفسه تحقيقاً لمبدأ العدالة في المحاكمات .
٢. تفاوت الناس بالملاحظة والعلم وتقدير مبدأ الفروق الفردية ﴿... بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ...﴾ (٦) .
٣. المعاقبة للمسيء بالمقدار الذي يفسده وأن تكون العقوبة من جنس العمل .
٤. التعريض بالمواقف المنحرفة ؛ حتى وإن كانت منسوبة لأشخاص من ذوي اعتبارات معينة، ﴿.. وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ..﴾ (٧) .
٥. إخفاء مظاهر الفساد والإضلال بحيث لا يفسح أي مجال لتعلق أصحاب الأهواء بها ﴿... لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (٨) .
٦. عدم صرف العبادة إلا الله الذي لا إله إلا هو .

(١) سورة طه : من الآية ٩٧ .
 (٢) الدر المنثور ، ج٥ ، ص ٥٩٧ .
 (٣) في ظلال القرآن ، ص ٢٣٤٩ .
 (٤) سورة طه : من الآية ٩٨ .
 (٥) زاد المسير ، ج ٥ ، ص ٣٢٠ .
 (٦) سورة طه : من الآية ٩٦ .
 (٧) سورة طه : من الآية ٩٧ .
 (٨) سورة طه : من الآية ٩٧ .

٧. العلم الحقيقي هو العلم الذي يتلقاه الناس عن الإله الواحد الأحد الذي يعلم كل

شيء ووسع علمه كل شيء .

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١١﴾
 مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٢﴾ خَلْدَيْنَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٤﴾
 يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٥﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
 أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٦﴾ ﴾ (١).

الرابع: (العبرة والعظة من القصص القرآني، وذكر بعض أهوال يوم القيامة):

الباب الأول : النفع في الصور وحشر المجرمين .

والخطاب هنا للنبي ﷺ بعد انتهاء قصة موسى في السورة .

وهي واحدة من قصص عديدة منها ما مضى ومنها ما هو قادم .

وهذا " الوعد الجميل بتنزيل أمثال ما مر من أنباء الأمم السالفة . وذلك إشارة إلى

اقتصاص حديث موسى ﷺ ، وما فيه من معنى البعد للإيدان يعلورتبته وبعد منزلته في

الفضل " (٢) .

وفي الآيات تثبتت للنبي ﷺ تكثيراً وزيادة في معجزاته ومحل عبرة واستبصار

للمكلفين (٣) .

وإذا كان القرآن يذكر العبر والأحداث والتاريخ ، ويذكر بها فإن الإعراض عنه وعن

توجيهاته يعتبر نكسة في حياة المعرضين وسوف يحمل نتيجة ذلك كل فرد معرض وزرأاً .

(١) سورة طه : الآيات ٩٩ : ١٠٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج ٦ ، ص ٤٠ (المسمى : إرشاد العقل السليم)

(٣) تفسير الفخر الرازي ، ج ١١ ، ص ١١٣ ، (المسمى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) .

والوزر هنا يأتي بصيغة المفرد ليكون وحده مشعراً بالثقل الذي يوازي كل الأوزار يوم القيامة :

﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴾ ﴿٣٦﴾ خَلْدَيْنَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿٣٧﴾ (١).

وكفى بذلك حملاً لعقوبة " ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه " (٢). واليوم المشار إليه يوم رهيب هو ينفخ فيه في الصور فتسمعه الأموات وتخرج من قبورها ، وصفه الله تعالى بقوله :

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفِرْعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ (٣).

وفي سورة طه تكشف الآية عن حال المجرمين الذين أعرضوا عن الذكر الحكيم كيف يكون حالهم وكيف تمتنع ألوانهم فتتحول من هول الموقف إلى اللون الأزرق :

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ ﴿٤٢﴾ (٤).

ويرى البيضاوي في تفسيره أن المجرمين يحشرون يوم القيامة " زرق العيون وصفوا بذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها عند العرب ؛ لأن الروم كانوا أعدى أعدائهم وكانوا زرق العيون " (٥).

وتفسير الآية محل خلاف والبيضاوي أجهد نفسه في تحميل النص ما لا يحتمل فالآية تقول : ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (٦). فحصر الزرقة في العيون

(١) سورة طه : الآيات ١٠٠ : ١٠١ .

(٢) تفسير البيضاوي ، ج ٤ ، ص ٦٩ .

(٣) سورة النمل : الآية ٨٧ .

(٤) سورة طه : الآية ١٠٢ .

(٥) تفسير البيضاوي ، ج ٤ ، ص ٦٩ .

(٦) سورة طه : من الآية ١٠٢ .

وقوله إن الزرقة أسوأ ألوان العين غير مسلم ، والجمال نسبي مختلف المقاييس ، وكون الروم أعدى أعداء العرب كما يقول لا يلزم من ذلك بغض ألوان عيونهم .

وروى ابن عباس قال : لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس : ما تقول في مجاهدة بنى الأصفر؟ قتال يا رسول الله إني امرؤ صاحب نساء ومتى أرى نساء بني أفتن أفتان لي في الجلوس ولا تفتني؟^(١) .

وفسر النسفي الآية ﴿ وَخَشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾^(٢) ؛ " أي عمياً ... وهذا لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق "^(٣) وهو تليل قريب لو انحصرت الزرقة في العيون .

وفي " خزانة الأدب " : أحال بعض الألوان إلى المجاز؛ فقال الأزاري " والموت الأحمر كناية عن الفقر، والعدو الأزرق : الشديد العداوة والأصل فيه العطش وبه فسر قوله تعالى ﴿ وَخَشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾^(٤) أي عطاشاً "^(٥) .

والعلاقة بين النفخ في الصور وحشر المجرمين يوم القيامة أنهم صموا آذانهم عن سماع الذكر في الحياة الدنيا فجاء نفخ الصور ليخرق أسماعهم ويفزع قلوبهم .

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾^(٥)

ثم تشير الآية إلى الحوار الجاري بين المجرمين ﴿ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ... ﴾^(٦) أي يقول بعضهم لبعض ﴿ ... إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾^(٧) أي في الدار الدنيا لقد كان لبتكم

(١) مجمع الزوائد، ج٧، ص٣٠ . والحديث رواه الطبراني في الكبير ج ١١، ص٦٣، بلفظ قريب وفي الأوسط، وفيه يحي الحماني وهو ضعيف .

(٢) سورة طه : من الآية ١٠٢ .

(٣) تفسير النسفي، ج ٣، ص ٦٧ .

(٤) خزانة الأدب، ج ٢، ص ٤٩٨ .

(٥) سورة ق : الآية ٤٢ .

(٦) سورة طه : من الآية ١٠٣ .

(٧) سورة طه : من الآية ١٠٣ .

فيها قليلا عشرة أيام أو نحوها ، قال الله تعالى : ﴿ حَنَّ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ... ﴾ (١) أي في حال تناجبهم بينهم ﴿ ... إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ... ﴾ (٢) أي العاقل الكامل فيهم ﴿ ... إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ (٣) أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد " (٤) .

ويترك المجرمون أمام مصيرهم المشئوم لا يجابون ولا يرد عليهم أحد في نجواهم وحوارهم لينتقل الحديث بعدها إلى الجبال ونسفها وهي الأكبر شأنًا والأعظم حجمًا ووزنًا فمن يعبأ بهم بعدها ؟ .

المضامين التربوية :

١. الاهتمام بدراسة التاريخ والاعتبار بقصص الغابرين .
٢. القرآن سجل مشرف للمؤمنين فيه وسوف يرفع من شأنهم ويخلد ذكركم في الحياة كلما اتبعوه .
٣. الإعراض عن القرآن يجلب اللعنة على الأمم والأفراد وسيكون ذلك يوم القيامة من أعظم الأوزار .
٤. النفخ في الصور ينبه المكلفين إلى ضرورة الاستماع والإنصات في الحياة الدنيا وأن المعرضين إذا استثقلوا الاستماع في الدنيا فلن يكون صوت الحق أصعق من نفخ الصور ولا حمل الأمانة أثقل من حمل الأوزار يوم القيامة .
٥. الذكر وتعاليمه ينفخ الحياة والروح والنور في المقبلين عليه في الدنيا والصور ينفخ الحياة في الأموات فلن يفلت المجرمون من قبضة العقاب .

(١) سورة طه : من الآية ١٠٤ .

(٢) سورة طه : من الآية ١٠٤ .

(٣) سورة طه : من الآية ١٠٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٦٦ .

٦. الجدل والحوار الدائريين المجرمين يدل على تمسكهم بالحياة الدنيا فهم ما زالوا يسألون عن لبثهم فيها ويقع منهم خطأ إحصاء الأيام وكأنهم ما ماتوا ولا استراحوا ولا ناموا فهم من نكد الدنيا إلى عذاب الآخرة لا راحة ولا هناء .

﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ﴿١٨﴾ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٩﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿٢٠﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿٢١﴾ ﴾ (١).

الباب الثاني : نسف الجبال :

هذا المقطع من الآيات يكشف جانباً من نفسية العرب في الصدر الأول من الإسلام وهم حديثوا عهد بجاهلية .

فهم مأخوذون بتشكلات المادة في الكون ، منبهرون أمام عظمة الجبال والنص القرآني يجيب على تساؤلهم بعنف ينزع من قلوبهم تلك العظمة للمادة ؛ فالعظمة لا تكون إلا لله وحده خالق الكون وخالق الجبال .

والنبي ﷺ يمسخ قلوب المؤمنين بيده الحانية فيخفف عنهم عناء التفكير في هذه الجبال ليصل بهم بالأسلوب القصصي إلى الحقيقة والهدف فلكل قصة عبرة ولذلك نجد في مسند أحمد ما يرويه أنس ابن مالك عن النبي ﷺ قال : " لما خلق الله ﷻ الأرض ؛ جعلت تميد فخلق الجبال ، فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد ؛ قالت : يا رب فهل من

(١) سورة طه : الآيات ١٠٥ : ١١٠ .

خلقت شيء أشد من الحديد؟ قال نعم النار قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء، قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح، قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله^(١)

إن العمل الصالح ومنه الصدقة الخفية أعظم من الجبال فينسف الجبال ويبقى العمل الصالح؛ يذهب الجبال " عن أماكنها ويحققها ويسيرها تسييراً ﴿... فَيَذَرُهَا...﴾^(٢) أي الأرض ﴿... قَاعًا صَفْصَفًا﴾ أي بساطاً واحداً.

والقاع هو المستوى من الأرض والصفصاف تأكيداً لمعنى ذلك. وقيل الذي لا نبات فيه ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾^(٣) لا ترى في الأرض يوم إذن ولا رابياً ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً^(٤).

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ...﴾^(٥) فالأتباع كان في الدنيا اختيارياً لا جبرياً ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ...﴾^(٦).
وأما يوم القيامة فلا خيار وانتقاء. هناك داع يدعو الناس ويأمرهم ويسرون خلفه إلى أماكن الحشر أو إلى أماكن العذاب والكل مندهش محتار لا يدري أهو إلى الجنة أم إلى النار.

وكان أولى بالأتباع الأنبياء والرسل يوم كان يكذب المجرمون وفي شدة الهول تخضع الأصوات فلا كلام إلا همس، ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن وعلم أن في كلامه خيراً

(١) مسند أحمد، ج ٣، ص ١٢٤.

(٢) سورة طه: من الآية ١٠٦.

(٣) سورة طه: الآية ١٠٧.

(٤) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٦٦.

(٥) سورة طه: من الآية ١٠٨.

(٦) سورة القصص: من الآية ٥٠.

وهذا لا يتأتى لأحد من الناس إلا أن يكون نبياً أو صديقاً أو شهيداً أو صالحاً يرضي الله له قولاً .

فإنه يعلم بعباده ما قدموا وما أخرجوا من عمل وهم لا يعلمون ولا يحيطون بشيء من العلم إلا ما علمهم الله سبحانه .

المضامين التربوية :

١. المظاهر الكونية تدعو إلى وحدانية الله تعالى حيث إنها آيلة إلى زوال فالتعظيم والعبادة لا تنصرف إلا إلى الله خالقها والذي يفنيها .

٢. هناك تغيير كوني في الكواكب ونظامها ينتظر البشرية ، وبالتالي لا بد من التفكير بالحياة البديلة في الآخرة والإعداد لها .

٣. الاعوجاج لا يدوم مهما طال الوقت والاستقامة هي الحالة التي تنعم بالهدوء والاستقرار .

٤. المراكز الاجتماعية في الدنيا تزول بزوالها وعباد الرحمن هم وحدهم المرشحون في الآخرة للشفاعة وهم الذين أحسنوا العمل في الدنيا ويحسنون القول في الآخرة .

٥. العلم الإنساني يبقى محدوداً قليلاً مهما بلغ ويبقى كذلك في الآخرة بمعنى أن التجدد العلمي لا يتوقف ؛ فهو دائم وقائم بدوام الله وبقائه .

﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ۖ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ هُمْ ذِكْرًا ﴿١١٦﴾ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۗ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٧﴾ ﴾ (١)

(١) سورة طه : الآيات ١١١ : ١١٤ .

الباب الثالث : العدالة الإلهية :

الصفات الإلهية مطلقة غير محدودة وفي ظل أهوال يوم القيامة وانبعاث الخلق والوقوف للحساب تتجه قلوب العباد إلى الله تعالى ويأسرها الموقف فتنقاد الوجوه لبارئها بصفته واسمه الأعظم الحي القيوم حيث انبعاث الحياة ودوامها وحيث تستلم "الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيم على كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به" (١) .

وهنا يكون الخلق في أمس الحاجة إلى الرحمة والمغفرة ومع وقوع المفاجأة للعصاة والمذنبين والظالمين إذ الرهبة والخوف وحشر المجرمين يمتد صوت الحق بالعدل المطلق فالسيئة يمثلها لا ظلم ولا زيادة وخاب وخسر من فعل ظلماً في الدنيا وجاء به يحمله يوم القيامة يلزمه ولا يحدد عنه .

أما الذين عملوا الصالحات من المؤمنين فلا ظلم اليوم لهم ولا تهضم حقوقهم وحسناتهم . وفي الحديث الشريف : " يقول الله ﷻ : وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم فينصف الخلق بعضهم من بعض " (٢) .

والقرآن الكريم هو الدستور في الدنيا والآخرة لا يختلف ولا يتغير أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين ظاهر المعاني والدلائل " فصيح لا لبس فيه ولا عي ﴿ ... وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنْ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ... ﴾ (٣) أي يتركون المآثم والمحارم والفواحش ﴿ ... أَوْ تُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (٤) وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ... ﴾ (٤) أي تنزهه وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعدته حق ووعيده حق وورسله حق والجنة حق

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .
(٢) المصدر السابق ، ومجمع الزوائد ، ج ١٠ ، ص ٣٥٣ ، وقال الهيثمي : وفيه يزيد بن ربيعة وقد ضعفه جماعة وقال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به ، وبقيته رجاله ثقات .
(٣) سورة طه : من الآية ١١٣ .
(٤) سورة طه : من الآية ١١٤ .

والنار حق وكل شيء منه حق وعدله تعالى ألا يعذب أحداً قبل الإنذار وبعثة الرسل والأعدار إلى خلقه " (١) .

فالموضوع إذن كبير جليل عظيم والعلم فيه غزير لا ينفذ وكما أخبر النبي ﷺ في بداية السورة ﴿ طه ﴾ مَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ ؛ فهو سبحانه هنا يقول: ﴿ ... وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ... ﴾ (٣) " فلا تتعجل بحفظه قبل فراغ جبريل لأننا ﴿ سَنُقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ (٤) ، ولا تتعجل بحكمه فسوف ينال الظالمون جزاءهم . في الوقت المناسب وما عليك إلا أن تتزود من علمه الذي "لا تنقضي عجائبه" (٥) ، ﴿ .. وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٦) وفي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ : " اللهم انفعني بما علمتني وعلمي ما ينفعني وزدني علماً .. " (٧) ، أما الحديث المشهور : " إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم " فقد ذكره الجرجاني وطعن في أحد رواته "بقية" واصفاً إياه أنه منكر (٨) ، وقال الطبراني "تفرد به بقية ولا يروى عن رسول ﷺ : إلا بهذا الإسناد" (٩) .

وقال الهيثمي (١٠) في أحد رواته : " رواه الطبراني في الأوسط وفيه الحكم بن عبد الله قال أبو حاتم : كذاب " .

وأرى أن متن الحديث يدل على ما قيل فيه لأن الدعاء بنزع البركة من يوم معين غير معهود في الهدى النبوي والمعروف النهي عن سب الدهر والأيام .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .

(٢) سورة طه : الآيات ١ : ٢ .

(٣) سورة طه : من الآية ١١٤ .

(٤) سورة الأعلى : الآية ٦ .

(٥) المستدرک على الصحيحين ج ١ ، ص ٧٤١ .

(٦) سورة طه : من الآية ١١٤ .

(٧) سنن الترمذي .

(٨) الكامل في ضعفاء الرجال ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ .

(٩) المعجم الأوسط ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ .

(١٠) المعجم الزوائد ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

١. ظلم الدنيا محمول في أعناق أصحابه إلى يوم الدين .
- وفي ذلك دعوة للتحلل منه وورد الحقوق إلى أصحابها قبل فوات الأوان .
٢. حسن الظن بالله لمن آمن وعمل صالحاً .
- ﴿ .. فَلَا تَخَافُ ظَاهِمًا وَلَا هَضْمًا ﴾^(١).
٣. نزول القرآن باللغة العربية فيه دلالة على إقامة الحجة على من ينطقون باللغة العربية قبل غيرهم . فلا مندوحة^(٢) في غير اتباعه .
٤. الوعد والوعيد في القرآن الكريم يحد في النشء والأجيال دافعية للتقوى والعمل الصالح ويترك أثراً طيباً في تاريخهم .
٥. التغيير في واقع السلوك يحتاج إلى تأن وعدم استعجال لتتوافق النظرية مع واقع العمل وتكون التهيئة قد حصلت ومهد لها ليتم التوافق والقبول من غير إكراه على الفعل ولا تنفير .
٦. طلب المزيد من العلم بلا توقف ليكون المجتمع دائم التقدم والتطور .
٧. للوصول إلى المزيد من العلم والفهم لا بد من الاستعانة بالله الذي يهب العلوم ويبارك في السائرين على درب العلم والتعلم .

(١) سورة طه : من الآية ١١٢ .

(٢) مندوحة ١ سعة . الغريب لابن قتيبة ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .

الخامس: (قصة آدم حواء):

الباب الأول : العهد والعزم .

﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَتَّعَدُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْوَالِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَدُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ هُمَا سَوْءًا تَهُمَا وَطَفِقَا مَخَصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ ﴾ (١).

في ذكر قصة آدم إثر ذكر قصة موسى في سورة طه إعادة تذكير بربط جسر العقيدة والدعوة والنبوة من أول خلق الإنسان إلى قيام الساعة وتذكير بأحد أكبر العوائق في حياة الإنسان إن لم يتنبه لها إنها قضية العداء الدائم مع الشيطان مع وساوسه وأساليبه ومكره وكيف تفتقر الهمة ويلين العزم عند الاقتراب من الاستمتاع أو الشهوات .

وآدم عليه السلام تعهد ألا يقرب الشجرة الوحيدة التي نهى عن الاقتراب منها هو وزوجه

فنسى العهد واستهوته الوسوس والأمنيات في :

﴿ .. شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ ﴿١٢٠﴾ (٢).

(١) سورة طه : الآيات ١١٥ : ١٢٣ .

(٢) سورة طه : من الآية ١٢٠ .

فأكلًا من الشجرة وفشلا في اجتياز الاختبار ، وهي صورة عما يقترفه بنوه من بعده إلى يوم الدين نسيان وإتباع للشيطان والشهوات وضياع العزم .
المضامين التربوية :

١ . ضرورة الالتزام بالوعود والعهود التي يقطعها الفرد على نفسه ليكون عنصراً فعالاً وجاداً في المجتمع .

٢ . النسيان ربما ينشأ عن التهاون وطول الأمد والتهاون في الأمور . وله كذلك ارتباط بالرغبات والشهوات إذا رجحت عند المرء على سائر الواجبات .

٣ . العزم يحتاج إلى الحزم وكلاهما مرتبط بمجاهدة النفس والتذكر والمثابرة للوصول إلى الهدف المنشود .

٤ . وقوع النسيان ونقص العهود واقع مشهود في الحياة ينبغي لأولى العزم أن يضعوه في الحسبان ؛ كأحد احتمالات الخطأ الناجم عن تتبع الشهوات والنزوات ولوضع مقومات تعديل السلوك في القانون والإدارة للمؤسسات العامة .
الباب الثاني : سجود الملائكة وعباد إبليس :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٧﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٨﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٩﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿٢٠﴾ ﴾ (١) .

وموضوع سجود الملائكة لآدم-سجود التحية- وتمرد إبليس على الأمر-حسداً- تحدثت عنه سورة البقرة بالتفصيل وهنا تذكر سورة طه لقطات من القصة تتناسب مع موضوع السورة والرسول والرسالة والمجاهدة والتبليغ ومواجهة الظالمين والطغاة وما يمكن

(١) سورة طه : الآيات ١١٦ : ١١٩ .

أن يوهن فيه الشيطان العزائم من المضي في سبيل تحرير الإنسان من العبودية لشهوات النفس كلها الغريزية والنفسية ، الاجتماعية والسياسية .

وآدم ﷺ جاءه التحذير مسبقاً وأعطى ضمانات الحياة الكريمة في المأكل والمشرب اللبس والتنزه والاستمتاع ؛ فلم يتركه الشيطان كما هو الحال في حياتنا الدنيا لم يترك صاحب نعمة يهنأ حتى تأتية منغصات الحياة والمعتدين من الناس .
المضامين التربوية :

١. في الإسلام تكريم لبني الإنسان وعليه فينبغي أن يعرف الإنسان قدره ، فلا يحقر نفسه ولا يتورط بما لا يليق بكرامته ومكانته .
٢. العداء الدائم بين إبليس وبني آدم ينم عن استمرار الحرب النفسية والخفية بين الطرفين . وبالتالي لا بد من التنبه عن الوقوع في الأخطاء والموبقات وإن كانت خطواتها الأولى مزينة بالخير وحسن النية وأداء العمل الصالح .
٣. إذا كانت القوامة في الحياة الأسرية حقاً مشروعاً له فلا يحق له أن يطغي في هذا الحق - كطغيان فرعون - وأن يعمل قصارى جهده للنهوض بالأسرة للوصول إلى الحالة النموذجية بالعلم والجهد واجتناب السيئات .
٤. الزوج يتحمل القسط الأكبر في حال الفشل في تكوين الأسرة النموذجية - غالباً - وبالتالي فهو الأكثر تضرراً وشقاءً إذا ضحي بالقيم واستهان بنتائج تدميرها ﴿...فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (١) . فذكر الشقاء هنا بصيغة المفرد ليدل على التصاق الشقاء بالرجل أكثر من التصاقه بالمرأة .

(١) سورة طه : من الآية ١١٧ .

٥. الرجل والمرأة شريكان ضامنان في الحياة ، يتحملان مسؤولية الحياة والتربية ما وفقدان حق اللجوء للجنة أو الأسرة يفقدها كلاهما الرمة والطمأنينة والسكون
٦. تأمين الطعام والشراب والسكن والحياة الكريمة حق أصيل للفرد والمجتمع واجب على أولى الأمر تأمينه كأحد أهم واجبات الراعي نحو الرعية .

الباب الثالث : المعصية والخروج من الجنة :

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْتَلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَ تُوهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ ﴾^(١).

الوسوسة : " حديث النفس والأفكار " ^(٢) ، أما الطريقة التي يخلص فيها الشيطان

إلى نفس الإنسان فما زالت غير معروفة لنا في وسائلنا العلمية التقليدية .

وللمرء أن يتوصل إلى حقيقة وجودها في النظر إلى المعرفة الغيبية المكتسبة عن

طرق أخرى غير مادية كالرؤى والأحلام " والمكاشفة " (Vision) كما يسميها النفسيون

المحدثون ... وهي مما يلحقه أولئك النفسانيون بهبة التلباثي (Telepathy) أو الشعور

البعيد ^(٣) .

وهي مشاعر تنتاب المرء وتدل على المحسوس في كثير من الأحيان منها الخير ومنها

الشرير .

(١) سورة طه : الآيات ١٢٠ : ١٢٣ .
 (٢) النهاية في غريب الحديث ، ج ٥ ، ص ١٨٥ .
 (٣) عبقرية عمر ، ص ١٧ .

والسوسة لا تأتي بخير؛ فهي خاصة بالشر والشهوة والفواحش والعدوان .
 و آدم وزوجه اعتديا في الجنة على موقع من المواقع المحذورة فكانت النتيجة والعقوبة
 فورية ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ هُمَا سَوْءَ تَهُمَا ﴾^(١). وهكذا كل خطيئة تربط بنتيجة
 سيئة لا محالة .
 المضماتين التربوية :

١. السوسة حديث الشر في النفس يشكل دافعية مذمومة يمكن تجنبها بالعلم
 والوعي والإيمان .
٢. وجوب اعتماد التطور الطبيعي في طموحات البشر دون اللجوء إلى " القفز " غير
 المدرس لتحقيق أهداف قبل أوانها : ﴿ ... هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ
 لَّا يَبْلَى ﴾^(٢) .
٣. للتربية السوية المستقيمة أثر فعال على الفرد حتى وإن وقع في الخطأ والخطيئة
 فهو لا يقوي أن يتعايش معها فيلجأ إلى الاعتذار والاستغفار والإقلاع عنها
 والإصلاح ؛ كرد فعل إيجابي تطهيراً للنفس والجوارح . ﴿ ... وَطَفِقًا مَخَصَّفَانِ
 عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ... ﴾^(٣) ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾^(٤)
٤. ضرورة إنزال العقوبة عن طريق سلب النعمة " والتكنولوجيا " من أيدي من لا
 يحسنون استخدامها وإيداعها الأيدي النظيفة الأمينه التي تستخدمها لصالح
 البشرية وعمارة الأرض .

(١) سورة طه : الآيات ١٢٠ : ١٢٣ .

(٢) سورة طه : من الآية ١٢٠ .

(٣) سورة طه : من الآية ١٢١ .

(٤) سورة طه : الآية ١٢٢ .

٥. إتباع الهدى والتعاليم الإيمانية يوفر على التربويين والأطباء النفسيين والسياسيين وغيرهم ناء معالجة المشاكل والأمراض الاجتماعية الناتجة عن الانحراف والضلال والشقاء ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١)

الباب الرابع : التحذير من الإعراض عن منهج الله :

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (٢)
 قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٣﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا
 وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿٤﴾ وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ
 الْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي
 مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٦﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ
 لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿٧﴾ (٢)

في هذا المقطع من السورة يحذر رب العزة والجلال الأفراد والجماعات من الإعراض عن ذكر الله ومنهجه ويتوعد من أعراض عن ذكر الله تعالى - عن القرآن - ﴿... وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ (٣)، يتوعد بالعيشة الضنك أي الضيقة " كما قال بعضهم لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه وكان في عيشة ضنك " (٤).

(١) سورة طه : الآية ١٢٢ .

(٢) سورة طه : الآيات ١٢٤ : ١٢٩ .

(٣) سورة طه : من الآية ٩٩ .

(٤) تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ٢٥٩ .

أما في الآخرة فالجزاء والعقاب أضيّق وأسوأ وأنكى ﴿... وَحَشْرُهُ دِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١١٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١١٦﴾ ﴿١﴾ .

والآيات تشير مرة أخرى إلى ظاهرة النسيان ؛ أما آدم ﴿... فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ﴿١١٥﴾ ، وكذلك أبنائه من بعده ينسون لا عصمة في هذا الأمر والنبي ﷺ يقول "نسي آدم فنسيت ذريته" (٢) ، وذكر ابن أبي شيبة حديثاً عن النبي ﷺ قال فيه : " آفة العلم النسيان وإضاعته أن تحدث به غير أهله " (٤) .

وليس هذا كله النسيان المقصود في الآية الكريمة " لأن النسيان على وجهين أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط ، والآخر على وجه عجز الناس عن الناس حفظ ما استحفظ ، ووكل به وضعف عقله عن احتمالته ... ومثال الأول : هو النسيان الذي عاقب الله ﷻ آدم صلوات الله عليه فأخرجه من الجنة " (٥) .

والذي نسي آيات الله تعالى فاستحق الحشر يوم القيامة أعمى هو الذي تركها ولم يؤمن بها ؛ فكما نسيها اليوم في الدنيا يترك وينسى في النار (٦) .

وهذا الأمر يسري على من أسرف في المعاصي والتكذيب للآيات والاستهتار بالوعيد جزاءً وفاقاً في الدنيا والآخرة .

(١) سورة طه : من الآيات ١٢٤ : ١٢٦ .

(٢) سورة طه : من الآية ١١٥ .

(٣) تفسير القرطبي ، ج ٣ ، ص ٧٤ ، ورواه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير عن رسول الله ﷺ حديث رقم ٣٠٠٢ .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ .

(٥) تفسير الطبري ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٦) تفسير الجلالين ص ٤١٨ .

وفي ذلك مدعاة أكيدة لأصحاب العقول أن يتعظوا وهم يشاهدون مساكن الأمم السابقة الذين أخذوا وعوقبوا وأصبحت مساكنهم خاوية على عروشها ، ولو ارتبط الأمور بمقاديرها والعذاب بقيام الحجة والصبر والإمهال لنزل العذاب بالمكذبين والعصاة المذنبين بغتة وفجأة .

المضامين التربوية :

١. الإعراض عن ذكر الله وعن القرآن والسنة يؤدي إلى ضيق العيش ونكده وسوء الأحوال الاقتصادية .

٢. البصر والبصيرة لا يفيد ولا يؤدي إلى الفوز والنجاة وهي قضية لها ارتباط بالإطلاع على أمور الحياة والآخرة من غير تفعيل ولا استبصار أو مقابلتها بالاستهتار واللامبالاة .

٣. السيئ في الدنيا سيكون سيئاً في الآخرة فالدنيا هي المزرعة وفي الآخرة يكون الحصاد .

٤. الإسراف في الاستمتاع الحرام والإسراف في الإنفاق لغير حاجة والإسراف في الوقت وإهداره باللغو واللعب هو طريق يؤدي إلى الهلاك ، ويلتقي مع طريق المعرضين المنكودين .

٥. الدعوة للاستدلال والاسترشاد لأسباب الكوارث الطبيعية التي تقع في الأرض ودراسة التاريخ والحياة الاجتماعية للأمم السابقة .

٦. عدم الركون والاطمئنان لتأخر العقاب إذا شاعت المعاصي الموبقات يقول تعالى
 ﴿وَدَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ
 بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١)

السادس: (التوجيهات التربوية العامة في السورة):

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
 وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (٢) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ
 مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُكَ رَبُّكَ خَيْرٌ
 وَأَبْقَىٰ﴾ (٣) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ
 وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٤) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِغَايَةِ مَن رَّبِّهِ أَوْلَمَ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي
 الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ (٥) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا
 أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَحْزَىٰ﴾ (٦) قُلْ كُلُّ
 مُتْرَبِّصٍ مُّتْرَبِّصٍ فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَن أَهْتَدَىٰ﴾ (٧)

هذا المقطع من السورة يشكل ملخصاً عاماً للتوصيات والتوجيهات التربوية المعلقة

بمغزى السورة والقصص الواردة فيها . وهي تثير في نفس النبي ﷺ دوافع الصبر والتحمل
 للإشكاليات المتوقعة من المشركين وخصوماتهم والعداء والأذى والتكذيب والتشكيك
 ومواقف المنافقين وشبهاتهم وزعزعة الإيمان في بعض النفوس وغير ذلك من الأمور التي
 تتقطع في جوهرها وصورتها مع ما لاقاه موسى ﷺ من مواجهات مع فرعون وقومه وما
 تحمله من منغصات بني إسرائيل في كثير من مواقف جهاد النفس معهم . لذلك بقيت تلك

(١) سورة العنكبوت : الآية ٥٣ .

(٢) سورة طه : الآيات ١٣٠ : ١٣٥ .

المفاهيم في نفس النبي ﷺ لم تغادره لحظة ، فكلما عصفت فيه رياح الأذى من أحد من البشر تذكر أخاه موسى وما لاقاه وعلى سبيل المثال " لما بلغه ابن مسعود قول القائل هذه القسمة ما أريد بها وجه الله؛ شق عليه ﷺ وتغير وجهه وغضب ، ولم يزد على أن قال : "لقد أودى موسى بأكثر من هذا فصبر" (١) .

ويبدأ المقطع بقوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝۱۳۰ ﴾ (٢)

والصبر يحتاج إلى هدوء أعصاب ورباطة جأش ، وهي قيم تنشأ وتقوى وتشتد في ربوع التسبيح في الليل والنهار وعلى مدار الساعة ؛ تسبيح بالقلب واللسان وتسبيح بالصلاة والقيام والدعوة واستقطاب المؤمنين والأنصار الأمر يرمى نفس الرسول ﷺ ويرضيها .

وينتهي المقطع بانتهاء السورة بقوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلُّ مُرْتَبِّصٍ فَتَرَىٰ صَوَابَ مَا كُنْتُمْ لَهَا كَاذِبِينَ ۝۱۳۱ ﴾ (٣)

وبهذا نجد بداية السورة ونهايتها تلتمح فيها التوجيهات للنبي ﷺ ، وتشكل سواراً يحيط بالسورة كلها كأنه الوعاء الواقي والحفاظ لسيرة نبي عانى في طفولته وشبابه ودعوته وبين أعدائه وحتى بين بني قومه وهي سيرة تتشابهك وتتشابه مع سيرة نبينا محمد ﷺ ، في معاناة الطفولة واليتم وإيذاء القوم وبني العشيرة باختلاف بين بني إسرائيل الذين كذبوا وارتدوا وآذوا كل الأنبياء وقتلوا منهم ما قتلوا ولعنوا بعدها على لسان داود وعيسى كما

(١) جامع العلوم والحكم ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

(٢) سورة طه : الآية ١٣٠ .

(٣) سورة طه : الآية ١٣٥ .

جاء النص الجليل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١)

في الوقت الذي أمتدح الله تعالى فيه أمة الإسلام بقوله :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾^(٢)

المضامين التربوية :

١. الصبر قيمة تربوية عظيمة لا يستغني عنها المصلحون ويحتاجها المربون والمعلمون والطريق إليها محفوف بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار .
٢. النعيم والرخاء وزينة الحياة لا تشكل بالضرورة دلالة على السعادة والرضى من الله ، بل ينبغي على المؤمنين عدم الالتفات إليها بالتمني لأنها موضع فتنة وابتلاء .
٣. العناية بالأسرة بالتوجيه والنصح والتعليم والتأكيد على إقامة الصلاة كدليل ومؤشر على الاستقامة و تفعيل دور القدوة في القول والعمل .
٤. عدم تغليب الاهتمام بالرزق والقضايا الاقتصادية والمادية على جانب القيم الأخلاقية : ﴿... لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا حَتَّى نَرْزُقَكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(٣)
٥. الاعتماد في الدعوة والتعليم والإرشاد والتوجيه أسلوب الإقناع العقلي والعلمي وعدم اشتراط الرجوع إلى مرحلة العصور الماضية في الاستدلال بالآيات المادية ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّنَا أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾^(٤).

(١) سورة المائدة : الآية ٧٨ .

(٢) سورة آل عمران : من الآية ١١٠ .

(٣) سورة طه : من الآية ١٣٢ .

(٤) سورة طه : الآية ١٣٣ .

obeikandi.com

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد . مصنف بن أبي شيبة . (دار النشر غير معروفة)
١٤٠٩ هـ . - ط ١ . - تحقيق : كمال يوسف الحوت .
٣. ابن الأثير ، مجد الدين بن محمد الجزري . (سنة غ م) النهاية في غريب الحديث . -
المكتبة العلمية . - بيروت : تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي .
٤. ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم . ١٣٩٨ هـ مجموع الفتاوى . - طبعة صاحب السمو
الملكی فهد بن عبد العزيز .
٥. ابن رجب ، الحنبلي عبد الرحمن بن أحمد . جامع العلوم والحكم . - ١٤٠٨ هـ . -
بيروت : دار المعرفة . - ط ١ .
٦. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، (أ) ١٤٠٧ / ١٩٨٧ م تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ،
بيروت ، لبنان ط ٢ ، تقديم : د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي .
٧. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ب) ، ١٤٠١ . تفسير القرآن العظيم . - بيروت : دار
الفكر .
٨. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب . - بيروت : دار صادر .
٩. أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم
- بيروت : دار إحياء التراث العربي .
١٠. الإزاري ، علي بن عبد الله الحموي . ١٩٨٧ م خزنة الأدب . - بيروت : دار مكتبة
الهلال . - ط ١ . - تحقيق : عصام شعيتو .

١١. الألويسي ، محمود . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . - بيروت : دار إحياء التراث العربي .
١٢. البغوي ، الحسين بن مسعود الفراء . ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م معالم التنزيل . - بيروت : دار المعرفة . - ط ٢ . - تحقيق : خالد العك ، مروان سوار .
١٣. البيضاوي ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م . تفسير البيضاوي . - بيروت : دار الفكر . - تحقيق : حسونة عبد القادر عرفات .
١٤. البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي . ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م . سنن البيهقي الكبرى . - مكة المكرمة : مكتبة دار الباز . - تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
١٥. الجرجاني ، عبد الله بن عدي بن عبد الله . ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م . الكامل في الضعفاء . - بيروت : دار الفكر . - ط ٣ . - تحقيق : يحيى مختار غزاوي .
١٦. الجوزي ، عبد الرحمن بن علي . ١٤٠٤ هـ . زاد المسير في علم التفسير . - بيروت : المكتب الإسلامي . - ط ٣ .
١٧. الحاكم ، النيسابوري محمد بن عبد الله . ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م المستدرک علی الصحیحین . - بيروت : دار الكتب العلمية . - ط ١ . - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .
١٨. الخفاجي ، محمد علي رزق ١٩٩٤ . رؤیة فنية لنص قرآني دراسة تحليلية سيميائية جمالية (تطبيق على سورة طه) . - القاهرة : دار المعارف . - ط ٢ .
١٩. الدجاني ، زاهية راغب . ١٤١٨ / ١٩٩٨ م . المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام و فرعون ، مقارنة عقائدية . - بيروت ، لبنان : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية . - ط ١ .

٢٠. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح. - بيروت : دار القلم (السنة دار النشر غير معروفة) .
٢١. الرازي ، محمد بن عمر. ١٤٠٥ / ١٩٨٥ م. - تفسير الفخر الرازي المشتهر ب : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. - بيروت : دار الفكر. - ط ٣.
٢٢. رجب ، مصطفى ١٤١٩ / ١٩٩٨ م. نحو ثقافة إسلامية. - القاهرة : المكتب المصري لتوزيع المطبوعات .
٢٣. الزرقاني ، محمد عبد العظيم. ١٩٩٦ م ، مناهل العرفان في علوم القرآن. - بيروت : دار الفكر. - ط ١. - تحقيق : مكتبة البحوث والدراسات .
٢٤. السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين . ١٩٩٣ م الدر المنثور. - بيروت : دار الفكر .
٢٥. الشيباني ، أحمد بن حنبل . مسند أحمد . - مصر : مؤسسة قرطبة .
٢٦. الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب . ١٤١٥ المعجم الأوسط. - القاهرة : دار الحرمين . - تحقيق : طارق بن عوض الله ، وعبد المحسن الحسيني .
٢٧. الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب . ١٤٠٤ / ١٩٨٣ م المعجم الكبير. - مكتبة العلوم والحكم. - الموصل. - ط ٢. - تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .
٢٨. الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد . ١٤٠٥ ، تفسير الطبري. - بيروت : دار الفكر
٢٩. طهمان ، عبد الحميد محمود . ١٤١٥ / ١٩٩٤ . - سبيل السعادة في سورة طه . - كلمة التوحيد في سورة الأنبياء . - دمشق ، وبيروت : دار القلم ، الدار الشامية. - ط ١.
٣٠. عباس ، فضل حسن . ١٤٠٧ / ١٩٨٧ م . القصص القرآني إحاؤه ونفحاته . - عمان ، الأردن : دار الفرقان . - ط ١.

٣١. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله. ١٣٨٧ هـ. التمهيد لابن عبد البر - وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب. - تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري.

٣٢. العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. - الفجالة، القاهرة: دار نهضة مصر.

٣٣. العكبري، عبد الله بن الحسين بن الحسن. التبيان في إعراب القرآن. - إحياء الكتب العربية، تحقيق: علي محمد الجاوي.

٣٤. عوض، إبراهيم ١٤١٣/١٩٩٣ م. سورة طه دراسة لغوية أسلوبية مقارنة. - القاهرة: دار النهضة العربية. - ط. - الطائف.

٣٥. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر. ١٣٧٢. تفسير القرطبي. - القاهرة: دار الشعب. - ط ٢. - تحقيق: البردوني، أحمد عبد العليم.

٣٦. قطب، سيد ١٤٠٥/١٩٨٥ م. في ظلال القرآن. - بيروت: دار الشروق. - ط ١١.

٣٧. المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن. تحفة الأحوزي. - بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٨. المحلي، عبد الرحمن السيوطي وأحمد محمد. تفسير الجلالين. - القاهرة: دار الحديث. - ط ١.

٣٩. المناوي، عبد الرؤوف، ١٣٥٦ هـ. فيض القدير. - مصر: المكتبة التجارية الكبرى. - ط ١.

٤٠. المناوي، محمد عبد الرؤوف، ١٤١٠ هـ. التعارف. - دار الفكر المعاصر بيروت: دار الفكر. - دمشق، ط ١. - تحقيق: محمد رضوان الداية.

٤١. نزال ، فوز سهيل كامل ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م . لغة الحوار في القرآن الكريم - دراسة وظيفية أسلوبية . الجوهرة للتوزيع ، عمان ، الأردن . ط١ .
٤٢. النيسابوري ، مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم .- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
٤٣. الهيثمي ، علي بن أبي بكر . ١٤٠٧هـ . مجمع الزوائد .- القاهرة ، بيروت : دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي .